

رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة

السنة الأولى - العدد الثالث - رجب ١٤٢٦ هـ - أغسطس ٢٠٠٥ م

- حوار مع سماحة الشيخ باقر الحوَّاج
- إله أم نبي؟! المسيح بين القرآن والإنجيل
- اعرف نفسك أولاً قبل كل شيء
- الغيبة وآثارها في الحياة الإنسانية
- نسب الروح ونسب الدم
- الرجل والمرأة في كفتي العقل والعاطفة
- في رثاء شهيد المحراب



والقلم وما يسطره

رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة

فصلية تصدر عن

طلاب البحرين في الحوزة العلمية

بمدينة قم المقدسة

برعاية

مكتب البيان للمراجعات الدينية

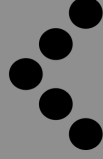
وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ

رئيس التحرير:

غازي عبد الحسني

aboab@hotmail.com





اقرأ في هذا العدد

- ◀ **التبليغ بين العمل الفردي والمؤسساتي**
- ◀ حوار مع سماحة الشيخ باقر الحواج (حاوره: سعيد حسن المادح) ————— ٥
- ◀ **إله أم نبي؟!! المسيح بين القرآن والإنجيل (القسم الأول)**
- ◀ فاضل عبد الجليل الزاكي ————— ١٤
- ◀ **اعرف نفسك أولاً قبل كل شيء**
- ◀ ياسر ميرزا الحوري ————— ٤٨
- ◀ **الرؤية الكونية**
- ◀ محمود عاشور عبد علي ————— ٧٠
- ◀ **حقيقة العصمة**
- ◀ محمد باقر خليل الشيخ ————— ٧٥
- ◀ **الغيبية وآثارها في الحياة الإنسانية (القسم الأول)**
- ◀ عبد الله علي الدقاق ————— ٨٩
- ◀ **التوبة**
- ◀ محمود حسن غلوم ————— ١٢١
- ◀ **قضية فدك**
- ◀ محمد إبراهيم المبشر ————— ١٢٩
- ◀ **الرجل والمرأة في كفتي العقل والعاطفة**
- ◀ علي أحمد الكرابادي ————— ١٦٥
- ◀ **فن الإلقاء**
- ◀ سيد عباس جعفر شير ————— ١٧٦
- ◀ **أخبار المشاهدة (القسم الثاني)**
- ◀ محمد علي العريبي ————— ١٨٥
- ◀ **مقدمات لعلم الفقه**
- ◀ حسن عبد الله احمد التصاب ————— ١٩٩
- ◀ **في رثاء شهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم (رحمه الله)**
- ◀ علي عبد الحسين البني ————— ٢١٢

الهوية الحقيقية

(الإسلاميون) هم خلفاء الله في أرضه، دستورهم القرآن الكريم، وقائدُهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وهو الإسلامي الأول)، وظيفتهم هي وظيفة الرسل والأنبياء (عليهم السلام)، ألا وهي هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتحقيق الحكم الإلهي.. ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)) [المائدة ٤٤]، ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)) [المائدة ٤٥]، ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)) [المائدة ٤٧]، أي أن الإنسان الذي يتنكر لحكم الله مع علمه باحقيته، هو في المنظور القرآني [كافر، ظالم، فاسق]، وعلى هذا، فالإسلاميون الحقيقيون هم الذين يؤمنون بحكم الله، ويرفضون كل منهج وأدوات لا تلتقي مع حكم الله، وأما من تلفظ بالشهادتين ووضع القرآن فوق الرفوف وأخرجه إذا استلزم الأمر لتلاوته فوق القبور، وتعامل مع الله (عز وجل) بين جدران المسجد، فهذا مسلم في إطاره الظاهري، ولكنه لم يستوعب الدين الإسلامي في مفهومه الشامل والكامل.

إن، عدم الاعتقاد بما يتباين مع المنهج الإسلامي وأدواته ليس منقصة، بل هو من كمال الإيمان بالله (عز وجل)، وإذا رفع بعض الإسلاميين شعارات كالديمقراطية أو المجتمع المدني أو غيرها في بعض المواقع - لا عن اعتقاد - ، فليس باعتبار أنهما (الأحسن)، بل

التبليغ ..

بين العمل الفردي والمؤسساتي

حوار مع: سماحة الشيخ باقر الحواج

حاوره: سعيد حسن الملاح

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (١).

📖 نلتقي في هذا الحوار المتجدد لنسلط الضوء على جنبه من جنبات الوظيفة الأساسية لطالب العلم، ألا وهي تبليغ الرسالة الإسلامية. وهذا الموضوع متشعب جداً، ولكن ارتأينا أن نتناول جانباً مهماً منه اغتناماً للفرصة المتاحة.

فكان الحديث عن التبليغ بين العمل الفردي والمؤسساتي مع شخصية مخضرة في هذا المجال.

فسماحة الشيخ باقر الحواج قد زاول التبليغ الفردي شأنه شأن أغلب العلماء في الحقبة الماضية، وأيضاً هو يزاول حالياً العمل المؤسساتي من خلال إدارته لواحدة من أكبر المؤسسات التبليغية في البحرين. لكن في الحقيقة لم نستكمل الحوار نظراً لضيق وقت سماحته، حيث

المؤسساتي، وما النقلة النوعية التي يشهدها العالم، والتطور السريع، إلا وراء ثقافة العمل المؤسساتي التي تنطوي على احترام التخصصات - والكلام هنا في الأعم من المؤسسات الدينية - إذن فالتجربة والواقع لها رأي آخر والتجارب الفاشلة ليست بشيء أمام التجارب الناجحة.

التسليم بأن العمل المؤسساتي له سلبيات أمرٌ غير واضح إن لم يكن غير صحيح

أعود إلى أصل السؤال.. ما هي إيجابيات العمل المؤسساتي؟
أولاً: بما أن العمل المؤسساتي هو اجتماع أفراد تحت مظلة واحدة، وبذل جهود منسقة وموجهة نحو تحقيق أهداف معينة ومحددة. ففي إسلامنا وثقافتنا ما يدعو ويرغب إلى مثل هذا الاجتماع، بل تجدون أن الترغيب في الاجتماع يصل حتى إلى العبادات.. الإسلام يعطي قيمة للصلاة جماعةً مع أنها علاقة خاصة بين العبد وربّه، أي علاقة ثنائية، وفريضة الحج كذلك يطلبها في موسم محدد ومكان محدد، أي بشكل جماعي.. وهناك مفردات أخرى يمكن أن تكون شواهد.
وهذه في الحقيقة تربية إسلامية رائعة، فحين تشير الروايات إلى أن المعطيات والآثار المعنوية الكاملة للعبادات تتوقف على اجتماع والتقاء وأداء جماعي فهي من جهة أخرى تنمّي الإحساس بوجود الآخر وطاقة الآخر، وأنت جزء ولست الكلّ.

أما سلبيات العمل الفردي، فقد اتضحت من خلال ذكر إيجابيات العمل المؤسساتي.

(رسالة القلم) هل كانت ستخرج بهذا الشكل
لولا التنوع في الوظيفة وتنسيق الجهود..

● المؤسسة التبليغية لها خصوصية تختلف بها عن باقي المؤسسات.. حيث أنها تمثل بؤرة للدعوة إلى الله تبارك وتعالى وإلى القيم والأخلاق الفاضلة، فهي ليست كباقي المؤسسات التي تخضع في نجاحها وفشلها إلى مجرد قوة الإدارة والنظام وما شابه. بنظركم ما هي أهم المقومات الأخلاقية والدينية التي تكفل نجاح المؤسسة في أداء رسالتها الإلهية؟ وكيف يمكن أن تترجم تلك المقومات بشكل عملي في واقع هذه المؤسسة؟

■ كما تفضلتم، هناك خصوصية للمؤسسة التبليغية الدينية، ولا يكفي الاطلاع على علم الإدارة أو التوفر على التجربة والخبرة الإدارية لنجاح المؤسسة الدينية، وإنما تنضاف لذلك شروط أخرى، منها:

١. أن يكون المنطلق للتأسيس والحاكم على عمل المؤسسة هو تقوى الله عز وجل: ﴿أَقْمِنَ أَسْسَ بُيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾ (٢).

خلوص نية القائمين
يعطي المؤسسة قوة
ومتانة ومصداقية.

فخلوص نية القائمين يعطي المؤسسة قوة ومتانة ومصداقية. إذن

ومؤسسات. إذن التجربة حديثة لدى الكثير من الأعضاء.

● ما هي قراءتكم لمستقبل التبليغ المؤسساتي؟

■ قراءة إيجابية ونظرة متفائلة لوجود مناخ مشجّع.. ثم إن هذه التجربة آخذة في النضج.

المجتمع ينتظر (من المؤسسة) مشاريع تلامس
همومه وتقدّم حلاً لما يعانيه.
أما المؤسسة فتنتظر من المجتمع أن يؤمن ويقتنع
بالعمل المؤسساتي، وما لم يكن ذلك فالفاصلة
تكون كبيرة.

الهوامش

(١) الأحزاب: ٣٩.

(٢) التوبة: ١٠٩.

- والمسيحيون في المقابل يعتقدون بأن الإنجيل هو عبارة عن سيرة كتبها بعض الأفراد عن المسيح والأفعال والأقوال والمعاجز التي قام بها إلى حين صلبه، والأنجيل الموجودة عندهم أربعة أناجيل كتبها أربعة أفراد ملهمون من قبل الله - ولهذا تكتسب حالة من القدسية عندهم - ولكنها ليست وحيًا مباشرًا من السماء، ولا تقتصر الكتب المقدسة عندهم على خصوص الأنجيل بل هناك كتب أخرى مقدسة أيضا وهم يقسمون هذه الكتب إلى مجموعتين رئيسيتين يطلقون على المجموعة الأولى اسم العهد القديم^(٣) ويطلقون على المجموعة الثانية اسم العهد الجديد^(٤)، في حين أن القرآن - بحسب نظرتهم - كتاب فاقد لأي صفة قدسية، لأنه لم يكتب بإلهام إلهي.

وسينقسم البحث إلى قسمين:

القسم الأول: سنطرح من خلاله نظرة المسيحيين للمسيح من خلال مصادرهم، وسنسعى لمناقشتها بموضوعية تامة وبعيدا عن الأحكام المسبقة.

القسم الثاني: سنطرح من خلاله الأدلة التي ساقها القرآن الكريم لنفي ألوهية المسيح وإثبات أنه إنسان كباقي الأنبياء، ولكن سيكون بحثنا في هذا القسم بشيء من الإختصار.

ولكوني مسلما - ولكي أكون موضوعيا في البحث - فما سأذكره في القسم الثاني من الآيات القرآنية التي تنفي ألوهية المسيح إنما سأعامل معها كمنبهات فقط، أي أنني لن أنقلها على أنها أدلة مستقلة، ولن أتعامل

” الثالث الأقدس: عرّف قانون الإيمان هذه العقيدة بالقول (نؤمن باله واحد الأب والابن والروح القدس إله واحد جوهر واحد متساوين في القدرة والمجد). في طبيعة هذا الإله الواحد تظهر ثلاثة خواص أزلية، يعلنها الكتاب في صورة شخصيات (أقانيم) متساوية. ومعرفتنا بهذه الشخصية المثلثة الأقانيم ليست إلا حقا سماويا أعلنه لنا الكتاب في العهد القديم بصورة غير واضحة المعالم، لكنه قدمه في العهد الجديد واضحا، ويمكن أن نلخص العقيدة في هذه النقاط الست التالية:

- ١ - الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله.
- ٢ - هؤلاء الثلاثة يصفهم الكتاب بطريقة تجعلهم شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى.
- ٣ - هذا التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتا أو ظاهريا بل أبدي وحقيقي.
- ٤ - هذا التثليث لا يعني ثلاثة آلهة بل إن هذه الشخصيات الثلاث جوهر واحد.

- ٥ - الشخصيات الثلاث الأب والابن والروح القدس متساوون.
- ٦ - ولا يوجد تناقض في هذه العقيدة، بل بالأحرى أنها تقدم لنا المفتاح لفهم باقي العقائد المسيحية”^(٦).

ويبقى أن نشير إلى أن هذه العقيدة التي نص عليها قاموس الكتاب المقدس لم تكن واضحة المعالم في زمن المسيح أو في الفترة التي تلت عصر المسيح، فقد مرت بالكثير من المخاضات العسيرة، الأمر الذي يفسر لنا لماذا كانت حقيقة الثالث السبب الرئيسي في انعقاد معظم المجامع

الثالوث بوصفها عقيدة؟

ومن أين أتى رجال الكنيسة بهذا اللفظ؟

وكيف اكتشفوا طبيعة علاقة هذه الأقانيم الثلاثة بعضها البعض الآخر؟

وهل صحيح بأن لفظ الثالوث لم يرد في الكتاب المقدس؟!

ويجبنا قاموس الكتاب المقدس عن هذه الأسئلة قائلاً:

"لقد كان يقين الكنيسة وإيمانها بلاهوت المسيح هو الدافع الحتمي لها لتصوغ حقيقة التثليث في قالب يجعلها المحور الذي تدور حوله كل معرفة المسيحيين بالله في تلك البيئة اليهودية أو الوثنية وتقوم عليه . والكلمة نفسها " التثليث أو الثالوث " لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها و اخترعها واستعملها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد" (١٢)

وكلامهم صريح في أنه لا يوجد في الأناجيل بل غيرها من كتب العهد الجديد أيضاً أي نص صريح يشير إلى نظرية التثليث كنظرية متكاملة، وهذا ليس بدعا من القول بل نجد بعض الباحثين منهم يصرحون بأنه "من المعروف أن تعليم وحدانية الله وامتياز الأقانيم أحدها عن الآخر ومساواتها في الجوهر، ونسبة أحدها للآخر لم يرد في الكتاب المقدس جملة واحدة بالتصريح به، بل في آيات متفرقة. غير أن جوهر هذه الأمور منصوص عليه من أول الكتاب المقدس إلى آخره" (١٣)

٤- التوحيد ونظرية الثالوث:

وإذا ما تسائلنا كما يتساءل الكثيرون: ألا تتناقض هذه العقيدة مع

التوحيد؟ فكيف يمكن أن تكون هذه المعادلة (٣=١)، وهل يمكن للعقل أن يقبل بهذا؟! فينبري مؤلفوا قاموس الكتاب المقدس حينئذ للإجابة بما يعتقدون أنه يرفع الحيرة من النفوس قائلين:

”وأخيرا نود أن نشير إلى أن عقيدة التثليث عقيدة سامية ترتفع فوق الإدراك البشري ولا يدركها العقل مجردا، لأنها ليست وليدة التفكير البشري بل هي إعلان سماوي يقدمه الوحي المقدس، ويدعمه الاختبار المسيحي . وهكذا تصير كل ديانة يتدعها البشر خالية من عقيدة التثليث . وفي سبيل قبول هذه العقيدة واعتناقها لا بد من الاختيار العميق للحياة المسيحية“^(١٤)

٥- الأدلة على أن المسيح ابن الله:

في فترات سابقا أجريت بعض الحوارات مع شخصيات مسيحية حول كون المسيح ابن الله، وفي أثناء بعض هذه الحوارات التي جرت - شفاهيا وكتابيا- حول هذه النقطة ذكروا جملة من الأدلة، كما أن قاموس الكتاب المقدس^(١٥) يشير إلى بعض هذه الأدلة أيضا، ويمكن تلخيص أهم الأدلة على ذلك بما يلي:

١- وردت الإشارة كثيرا إلى المسيح بلفظ ”ابن الله“ في موارد كثيرة جدا من الأناجيل الأربعة^(١٦).

٢- نقلت الأناجيل عن المسيح تعبيره عن الله بلفظة (أبي)، أو (الأب) وذلك في موارد كثيرة جدا.

٣- ما ورد في انجيل يوحنا، على لسان المسيح أنه قال (فان لم

تؤمنوا بي فامنوا بالأعمال لكي تعرفوا و تؤمنوا أن الأب في وأنا فيه^(١٧)، وقال أيضا "ليكون الجميع واحدا أيها الأب كما انك أنت في وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا لكي يؤمن العالم انك أنت أرسلتني"^(١٨) فالمسيح هنا يقول أنه متحد وحدة تامة مع الأب.

٤- عند معمودية المسيح جاء صوت من السماء قائلا: "هذا ابني الحبيب" على ما ذكره متى في إنجيله^(١٩).

٥- ما حصل على يديه من معاجز كشفاء المرضى وإحياء الموتى.

٦- قيامته من الأموات وصعوده إلى السماء.

٧- أنه ولد من غير أب كما تصرح الأناجيل، بل ويصرح بذلك القرآن الكريم أيضا.

فيقولون بأن مجموع هذه الأمور تنفي أن يكون المسيح شخصا عاديا كباقي الناس، ولذا فلا بد أن يكون ابن الله.

حقيقة هذه البنوة:

ولكن ماذا يقصدون من كون المسيح ابن الله؟ هل المقصود الولادة الجسدية؟

لم تكن مسألة بنوة المسيح لله مسألة مسلمة عند مسيحيي القرون الأولى، فكما تشير المصادر فقد برزت في الأوساط المسيحية فئتان رئيسيتان أنكرتا هذه العقيدة:

١- التبنيين: وهؤلاء قالوا بأن المسيح ليس سوى إنسان تبناه

أرباب الكنيسة ولازالت عبائرهم مشوشة، ولعل السبب الرئيسي في ذلك أنه لا توجد لديهم نصوص صريحة في كتب العهدين -القديم والجديد- توضح طبيعة وماهية هذه العلاقة، الأمر الذي أسهم بشكل مباشر في وقوع الخلاف حول طبيعة هذه العلاقة، فيحكي لنا التاريخ بأن طبيعة هذه البنوة كانت محل نزاع بين المسيحيين في القرون الأولى، فقد كان نسطور بطريرك القسطنطينية يعتقد " أن القديسة مريم، لم تلد إلهًا متجسدًا، بل ولدت إنسانًا فقط. ثم حل فيه بعد ذلك ابن الله، لا حلول الاتحاد بل حلول المشيئة والإرادة. وأن المسيح لهذا السبب طبيعتين وإقنومين" (٢١) وقد تبعه على هذا القول جماعة كثيرة عرفوا فيما بعد بالنساطرة.

لقد كان لآراء نسطور وقعها الشديد على الكنائس المسيحية حيث أشد الجدل حولها وأحدثت الكثير من الבלبالات، وعلى إثر ذلك انعقد مجمع أفسس الأول في تركيا سنة ٤٣١م بزعامة كيرلس بطريرك الاسكندرية لمناقشة هذه المسألة وقد قام هذا المجمع بالرد على آراء نسطور وتم تجريده من منصبه كبطريرك للقسطنطينية، وتبنى هذا المجمع رأيًا يقول بأن المسيح له طبيعة واحدة ومشئنة واحدة واقتوما واحدا متجسدًا، وفي ذلك يقول بطريرك الاسكندرية القديس كيرلس: " إن سيدنا يسوع المسيح أقنوما واحدا إلهيا اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحادا تاما بلا اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة، فالعذراء والحالة هذه هي بحق والدة الإله، فمريم لم تلد إنسانا عاديا بل ابن الله المتجسد، لذلك هي حقا أم الله " وهذا القول تبنته الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وأغلب الكنائس الشرقية،

مريم ولدت الإنسان فقط ثم حلت فيه المشيئة الإلهية بينما الكاثوليك يقولون أن مريم ولدت الإثنين معا.

لم يقبل اساقفة مصر بقرارات مجمع خلقدونية، ولكن وبعد أن تم عزل بطيريك الاسكندرية ونفيه حاول الإمبراطور الروماني مرقيانوس أن يفرض على المصريين (بابا) جديدا يتبنى آراء مجمع خلقدونية فأرسل لهم بروتاريوس بديلا عن البابا المعزول إلا أن هذا الإجراء قوبل بالرفض من قبل الأساقفة المصريين وقد أدى ذلك إلى حدوث صدامات عنيفة بين المصريين والقوات الرومانية التي كانت تسيطر على مصر آنذاك وقد قتل على إثر ذلك ما يقارب الثلاثين ألف مصري على حسب بعض المصادر^(٢٣).

وبهذا تعمق الخلاف بين الكنيسة المصرية الأرثوذكسية وبين كنيسة روما الكاثوليكية.

التعليق:

ولكي يكون التعليق وافيا بالموضوع سأضع تعليقي في ضمن نقاط:

أولا: نظرية التثليث في ضوء العقل:

يقول خصوم المسيحيين أن نظرية التثليث تعني أن (الواحد) يساوي (الثلاثة)، ولا شك أن العاقل لا يمكنه أن يقبل بصحة مثل هذه المعادلة ولذا لا يمكننا أن ننسبها إلى شخص عاقل، فهل صحيح أن نظرية التثليث التي يتبناها المسيحيون تعني ذلك؟

للجواب عن هذا السؤال لا بد من استيضاح مقصودهم بالجواهر الواحد

على أنها إله واحد وليس ثلاث آلهة، وخصوصا إذا ما لاحظنا العبارة التي تنسب إلى يوحنا (هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد)^(٢٥).

إن العقل يستحيل أن يقبل بمعادلة تقول (٣=١) إذن هم يقولون ثلاثة أقانيم أي ثلاثة أشخاص، فقولهم: لا نمزج الأقانيم ولا نفصل الجوهر لن يغير من الحقيقة شيئا، وهل يمكننا أن نتعقل أن الاقانيم الثلاثة متساوون وفي نفس الوقت يقولون لنا بأن الابن مولود من الأب وحده، والروح القدس منبثق من الأب والابن، ثم يصرون أيضا بأنه ليس في هذا الثالث من هو قبل غيره أو بعده وأن جميعهم سرمديون؟ هل هذا إلا التناقض بعينه؟؟!!

لقد أدرك قساوستهم بأن هذه العقيدة تناقض العقل، وأن العاقل لا يمكنه أن يتقبل مثل هذه العقيدة، ولذا لجأت الكنيسة إلى حيلة لتسويق هذه العقيدة، وهي الإصرار الدؤوب على التشبث بمقولة " أن عقيدة التثليث عقيدة سامية ترتفع فوق الادراك البشري ولا يدركها العقل مجردا"^(٢٦) وبهذا يتم غلق ملف القضية بعد توجيه أصابع الاتهام إلى العقل البشري بالنقص والقصور، فقاموس الكتاب المقدس مثلا يعلل ذلك بأن هذه العقيدة "ليست وليدة التفكير البشري بل هي إعلان سماوي يقدمه الوحي المقدس، وفي سبيل قبول هذه العقيدة واعتناقها لا بد من الاختيار العميق للحياة المسيحية"^(٢٧)، وفي نفس السياق يقول معجم اللاهوت الكاثوليكي: " الثالث هو سر في المعنى الحصري، ومن غير

بالإشارة المقتضبة إلى بعض النقاط:

أ- أن المسيحيين يعجزون عن إثبات قدسية كتبهم، إذ أنهم يقرون بملء أشداقهم بأن هذه الكتب كتبها أشخاص عاديون، ولكنهم مع ذلك يدعون بأنهم كتبوها بإلهام إلهي، وهو ما يعجزون عن إثباته، إذ أنه مجرد دعوى لا يسندها أي دليل.

ب- أن قدسية هذه الكتب إنما تبنتها الكنيسة بعد مدة من زمن المسيح، ولم يتضح سبب مقنع في إعطاء القدسية لخصوص هذه الكتب دون غيرها، خصوصاً مع وجود العديد من الكتب الأخرى التي قيل عنها بأنها مقدسة أيضاً، وتم رفضها بدعوى أنها مزيفة، وقامت الكنيسة بإصدار لوائح تبين فيها الكتب القانونية من غير القانونية، ولم تستقر اللائحة النهائية للكتب المقدسة إلا في أواخر القرن الرابع للميلاد^(٣١)، بل نجد لوقا في مقدمة إنجيله يصرح بأن عدد الأناجيل التي تكلمت عن المسيح وسيرته كثيرة^(٣٢)، فأين اختفت تلك الأناجيل ولماذا لم تبق لنا الكنيسة غير هذه الأناجيل الأربعة؟!.

ج- يوجد خلاف شديد حول مؤلفي عدد من هذه الكتب، ففي حين تنسب هذه الكتب إلى أشخاص بأعيانهم، يوجد تشكيك - من مفكرين مسيحيين - حول

الآن إلى رد هذه النصوص من خلال أسلوبين:

١- مناقشة هذه النصوص مناقشة سريعة لمعرفة مدى دلالتها على عقيدة التثليث.

٢- طرح الأدلة والنصوص التي تنفي عقيدة التثليث ومحاكمة النصوص الأولى على ضوئها.

١- مناقشة النصوص التي أوردوها:

وسناقش الآن تلك النصوص المزعومة مناقشة سريعة لمعرفة مدى دلالتها على عقيدة التثليث، وسنلتزم في هذه المناقشة بالترقيم الذي ذكرناه في الهوامش:

١- بالنسبة للنص الأول الذي أشاروا إليه، لا يدل بشكل صريح على عقيدة التثليث، إذ أنه لم يشر إلا إلى اقنومي الأب والإبن فقط، ولم يشر إلى الروح القدس، بل يمكن القول بأن هذا النص ينافي ما يعتقده المسيحيون، إذ أنه يصرح بأن الأب حل في الإبن.

٢- وأما بالنسبة للنصين الثاني والثالث فهما لا يدلان على التثليث لا من قريب ولا من بعيد، إذ لم يشار إلى أن الإبن والروح القدس اقنومان، ومجرد ذكرهما مع الأب في نص واحد لا يدل على ذلك.

٣- وأما النص الرابع فهو كسابقه، إذ أن مجرد إقتران بعض الأسماء مع الذات الإلهية في نص واحد لا يعني أنها آلهة أيضا، فالشهادتين في الإسلام يرد فيها أسم الله وإسم الرسول ﷺ ومع ذلك لم يدع أحد بأنه إله لمجرد هذا الإقتران، مضافا إلى أن الأناجيل الثلاثة الأخرى تذكر

أنجيل يوحنا على لسان يوحنا المعمدان أنه لم يكن يعرف أن يسوع هو المسيح إلا حينما رأى الحمامة تنزل عليه أي بعد تعميده^(٣٨)، في حين أن متى يذكر أن يوحنا المعمدان كان يعرف أن يسوع هو المسيح قبل تعميده ولهذا خاطبه قائلا: "أنا أحتاج أن أتعمد على يدك، فكيف تجيء أنت إلي" (٣٩)

كانت هذه مناقشات سريعة لتلك النصوص التي أوردها قاموس الكتاب المقدس وأدعى دلالتها على عقيدة التثليث، وسنذكر المزيد من المناقشات في ضمن النقاط التالية.

٢- التوحيد والتثليث في العهد الجديد:

لقد صرح المسيح بعقيدة التوحيد كما تنقل عنه الأناجيل، فقد نقل مرقس في انجيله " فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى انه أجابهم حسنا سأله أية وصية هي أول الكل، فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد"^(٤٠)

ومع هذا نجد المسيحيين يصرون على عقيدة التثليث مؤكدين عدم تنافيا مع التوحيد الذي أشار له المسيح، وقد نقلنا عنهم قولهم " لا نمزج الأقانيم ولا نفصل الجوهر " ولكن في المقابل نجد نصوصا كثيرة من العهد الجديد تدل على المغايرة الصريحة بين الأقانيم مما يعني انفصالها عن بعضها البعض انفصالا تاما وليس شكليا، فليست شخصية واحدة كما يدعون بل هي ثلاث شخصيات متميزة، مما يثير التساؤل حول حقيقة ما يدعونه من أن هذه العقيدة مأخوذة من نصوص الكتاب المقدس،

بفتح السين - شخص واحد؟

ب- إذا كان الإبن والروح القدس شيء واحد فما معنى أن الروح لن يأتي ما لم يذهب الإبن؟

ج- ثم إن هذه العبارة تخالف ما هو متسالم عندهم من أن الروح القدس منبثق من الأب والإبن معا وليس من الأب وحده.

٣- تذكر الأناجيل أن المسيح صلى قبيل القبض عليه وطلب من الله أن يدفع عنه "هذه الكأس" فعلى سبيل المثال يذكر مرقس " وأخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا، وبدا يشعر بالرهبة والكآبة، وقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت، ابقوا هنا واسهروا، ثم ابتعد قليلا وخر على الأرض وأخذ يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن كان ذلك ممكنا، وقال أبا، يا أباي، كل شيء مستطاع لديك، فأبعد عني هذه الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت" (٤٣) وقد كرر المسيح هذه الصلاة ثلاث مرات كما يذكر لوقا، وهنا لنا أن نتساءل:

أ- هل يمكن لنا أن نقبل بإله أن يشعر بالرهبة والكآبة مما قد تفعله به المخلوقات؟

ب- هل يبلغ الخوف والرهبة حدا يجعلانه يتوسل لإبعاد هذه الكأس " أي الصلب " عنه، مع أنه إنما أتى ليقتل مصلوبا فيخلص المؤمنون به من الخطيئة كما يدعون.

ج- هل الإله يصلي لنفسه، أليس من المفروض أن المسيح إله أيضا كما يدعون؟ إذن هل كان يصلي مخاطبا نفسه بهذا

والمرسل والمرسل، وهذا رد صريح لنظرية الثالث.

٥- ذكر يوحنا في أنجيله بأن المسيح بعد أن قام من قبره تكلم مع مريم المجدلية قائلاً "لا تلمسيني لاني لم اصعد بعد إلى ابي ولكن اذهبي إلى اخوتي و قولي لهم اني اصعد إلى ابي وأبيكم و الهي وإلهكم" (٤٦)، وهنا نرى المسيح يصرح بما لا مجال فيه للتأويل بأنه ذاهب إلى إلهه، فهل يوجد إله لئله؟

٦- قال بولس " لأن الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد هو المسيح يسوع الإنسان الذي ضحى بنفسه فدى لجميع الناس" (٤٧) وهذه العبارة صريحة في أن الله واحد، وأن المسيح وسيط بين الله والناس، فهل يمكن أن يكون المسيح أحد أقانيم الذات الإلهية كما يزعمون؟! إن هذا ببساطة يعني أن يكون المسيح وسيطاً بين الناس وبين نفسه.

٧- من الواضح أنه لا بد أن يتصف الإله بالكمال المطلق، وبالنسبة لنظرية التثليث نقول لو كان هناك أقنوم أعظم من أقنوم فهذا يعني بالضرورة بأن هناك نقصاً في الأقنوم الآخر، وإلا لما كان هناك أي معنى للتفاضل، ولذا نجد أن المسيحيين يصرون على إن نظرية التثليث قائمة على أساس التساوي بين الأقانيم الثلاثة، وهذا أمر لا يختلف فيه إثنان منهم، ولكن في المقابل نجد هناك نصوصاً صريحة تنفي التساوي وتصرح بأن الأب أعظم من الإبن وللتوضيح نشير إلى بعض الأمثلة:

- نجد إنجيل يوحنا ينقل عن المسيح قوله "سمعتم أنني قلت لكم أنا اذهب ثم آتي إليكم لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأنني قلت امضي

الروح القدس وذلك لأن الروح القدس قد رؤي أكثر من مرة كما تشير إلى ذلك مصادرهم، وليس في سياق العبارة ما يشير إلى كون الحديث عن خصوص أقنوم الأب كما قد يتوهمه البعض، على أن العبارة قالت لم يره أحد قط، مما يعني أن الأقنومين الآخرين أيضا لم يشاهدها.

وعلى فرض كون المراد من هذه العبارة هو خصوص أقنوم الأب، أليس من حقا أن نتساءل فنقول: إذا كانت الأقانيم الثلاثة متساوية ومن جوهر واحد كما يقولون فلماذا يختص أقنوم الأب بهذه المزية ولا يشاركه فيها الأقنومان الآخران؟؟؟!!

هذه بعض الإشكالات التي تنفي نظرية الثالوث من خلال نصوص العهد الجديد، وهناك نصوص كثيرة أخرى أعرضت عن التعرض لها للإختصار، فإن في ما ذكرناه كفاية.

يتبع في العدد القادم



الهوامش

(١) يمكن تلخيص رأي الإسلام في المسيح بأنه نبي من أولي العزم، أنزل الله عليه أحد الكتب السماوية وهو كتاب الإنجيل، وهو بشر كباقي الأنبياء كما صرح القرآن الكريم، فهو عبد الله ورسوله الذي لا يستكف عن عبادة الله، وهو الذي ولدته مريم العذراء من غير أب، وأنه جاء مصدقا للتوراة التي سبقته ومبشرا بنبوة النبي الأكرم ﷺ، وقد أنجاه الله من مؤامرة اليهود الذين أرادوا صلبه فرفعه إلى السماء فصلبوا شخصا آخر وتوهموا أنهم صلبوا المسيح.

(٨) النصوص المشار إليها هي:

١- "قال له يسوع انا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس الذي راني فقد رأى الأب فكيف تقول أنت أرنا الأب، أأنت تؤمن أنني أنا في الأب والأب فيّ، الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلّم به من نفسي لكن الأب الحال فيّ هو يعمل الأعمال، صدقوني أنني في الأب والأب فيّ وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها" (انجيل يوحنا ١٤ : ٩ - ١١)

٢- "وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويزدركم بكل ما قلته لكم" (انجيل يوحنا ١٤ : ٢٦)

٣- "ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي" (انجيل يوحنا ١٥ : ٢٦)

فيقولون بأن النص الأول صرح بذكر اقنوم الأب وأقنوم الابن، والنصين الثاني والثالث يحتويان على ذكر كل واحد من الأقانيم الثلاثة، فالمتكلم هو (الابن) وقد أشار إلى (الأب) و(الروح القدس).

(٩) النص المشار إليه هو:

٤- "فأذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمّدوهم باسم الابن والابن والروح القدس" (انجيل متى ٢٨ : ١٩)

فيقولون بأن المسيح هنا يأمرهم بأن يكون التعميد بأسم الأقانيم الثلاثة، وليس بأسم أحدها فقط.

(١٠) النصوص المشار إليها هي:

٥- "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم امين" (رسالة كورنثوس الثانية ١٣ : ١٤)

٦- "بمقتضى علم الله الأب السابق في تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح لتكثر لكم النعمة والسلام" (رسالة بطرس الأولى ١ : ٢)

٧- "فان الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الابن والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد" (رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٧)

العقد الثالث ❦ رسالة القلم ٤٣

٣٥، ما لفظه (فلذلك ايضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله)، كما ورد في انجيل يوحنا ٦:٦٩، ما لفظه (و نحن قد امننا وعرفنا انك انت المسيح ابن الله الحي).

(١٧) انجيل يوحنا ١٠: ٣٨.

(١٨) انجيل يوحنا ١٧: ٢١.

(١٩) راجع، انجيل متى ٣: ١٧.

(٢٠) الفصل السادس من كتاب (الله الخالق)، للمطران كيرلس سليم بسترس.

(٢١) السنكسار القبطي، شهر توت: اليوم الثاني عشر.

(٢٢) حيث يقولون بالطبيعة الواحدة للمسيح، وقد اشار لهم القرآن الكريم مرتين في سورة المائدة مرة في قوله ((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنزلَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) وفي قوله ((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)) فقد أشار المفسرون إلى أن المقصود بهاتين الآيتين هم فرقة اليعاقبة.

(٢٣) السنكسار القبطي، شهر مسرى: اليوم الثالث والعشرون.

(٢٤) راجع: (وحدانية الثالوث في المسيحية والإسلام)، وهي مقالة طويلة ومفصلة للكاتب: اسكندر جديد. وهي منشورة في العديد من المواقع المسيحية على الانترنت

(٢٥) راجع: رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٧

(٢٦) قاموس الكتاب المقدس : ٢٣٣.

(٢٧) قاموس الكتاب المقدس: ٢٣٣.

(٢٨) معجم اللاهوت الكاثوليكي: ص ٩٧، نقلا عن (الكتاب المقدس في الميزان: ٣٤٤) للشيخ محمد علي برو.

(٢٩) القديس أغسطينوس (٣٥٤م - ٤٣٠م) هو أسقف كنيسة هيبون، كان له دور بارز في صياغة عقيدة الثالوث المسيحي كما يقول قاموس الكتاب المقدس، ومدينة هيبون هي مدينة جزائرية قديمة، وهذه القصة منتشرة في مصادر المسيحيين.

(٣٠) مقال "الإيمان المسيحي وحقيقة التثليث" وهو مقال منشور في المواقع المسيحية في الإنترنت، وموقع باسم "ابن الدين المسيحي".

(٣١) يذكر التاريخ وجود العديد من الأناجيل التي كانت منتشرة (مثل انجيل توما، انجيل بطرس، انجيل مريم المجدلية، انجيل المصريين، انجيل ميثاس، انجيل يعقوب، انجيل يهوذا، انجيل برنابا وغيرها) وقد صدرت عدة قرارات لإلغائها من قبل الكنيسة، كما أن هناك الكثير من الكتب كانت محط تجاذبات في الأوساط الكنسية إلى أن تم إقرارها في فترات متأخرة. مثل سفر الرؤيا الذي أقره في بعض الكنائس ثم حذفه مجمع لاودكية سنة ٣٦٣م، ثم عادوا لإقراره مرة أخرى في مجمع قرطاجنة سنة ٣٩٧م، كما أن الأسفار القانونية الثانية -المعروفة بأسفار ابوكريفا- لازالت محل نزاع بين الكنائس المسيحية ففي حين تعترف بها كل من الكنيسة الكاثوليكية والارثوذكسية تعارضها الكنيسة البوستانية بشدة، وترفضها جملة وتفصيلا، فالكنيسة كانت دوما هي التي تتدخل لتحديد الكتب المقدسة، ولم تستقر اللائحة النهائية للكتب المقدسة إلا في أواخر القرن الرابع للميلاد، أي في مجمع قرطاجنة سنة ٣٩٧م.

(٣٢) يقول لوقا في أول الإصحاح الأول من إنجيله: ((لأن كثيرا من الناس أخذوا يدونون رواية الأحداث التي جرت بيننا، كما نقلها إلينا الذين كانوا من البدء شهود عيان وخداما للكلمة، رأيت أنا أيضا بعدما تتبعت كل شيء من أصوله بتدقيق أن أكتبها إليك)).

(٣٣) سورة النساء: ٨٢

(٣٤) بولس هو أحد اليهود الذين

(٣٥) هذه الطبعة هي الطبعة التي أصدرتها دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، وهي ترجمة متقنة ومضبوطة، وهي - وكما جاء في مقدمتها- أول ترجمة عربية تضعها لجنة

مؤلفة من علماء كتابيين ولاهوتيين ينتمون إلى مختلف الكنائس المسيحية من كاثوليكية وارتوذكسية وإنجيلية.

(٣٦) انجيل متى ٣: ١٧، وانجيل مرقس ١: ١١

(٣٧) انجيل لوقا ٣: ٢١.

(٣٨) انجيل يوحنا ١: ٣٣

(٣٩) انجيل متى ٣: ١٤.

(٤٠) انجيل مرقس ١٢: ٢٨-٢٩.

(٤١) انجيل متى ٣: ١٦ و ١٧، وقد ورد شبيه بهذا النص في: انجيل مرقس ١: ١٠ و ١١،

وانجيل لوقا ٣: ٢١ و ٢٢.

(٤٢) انجيل يوحنا ١٥: ٢٦

(٤٣) انجيل مرقس ١٤: ٣٣ - ٣٦. ومثله في متى ٢٦: ٣٧ - ٣٩، ومثله أيضا في لوقا ٤١: ٢٢ -

٤٣.

(٤٤) انجيل يوحنا ٥: ١٩-٢٠.

(٤٥) انجيل يوحنا ٥: ٣٠.

(٤٦) انجيل يوحنا ٢٠: ١٧.

(٤٧) رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموثاوس ٢: ٥ - ٦.

(٤٨) انجيل مرقس ١٣: ٣٢.

(٤٩) على سبيل المثال راجع: انجيل متى ١٠: ٤٠، انجيل مرقس ٩: ٣٧، انجيل ٩: ٤٨،

انجيل يوحنا ١٣: ٢٠.

(٥٠) انجيل يوحنا ١٣: ١٦.

(٥١) رسالة يوحنا الاولى ٤: ١٢.

رسالة القلم ٤٧  العدد الثالث

تمتعنا بها من غير أن يكون لنا أي دور في تكوينها...
إنها المرتبة الأولى لوجود الإنسان..... ولتسميها المرحلة اللاإرادية
للإنسان...

إذن هناك إنسانية تكوينية وهي بمثابة رأس مال غير مكتسب يبدأ به
الإنسان تجارته.. وكل ما مرّ كان بياناً لهذا الأمر..
وهنا نبدأ بنقطة جديدة وهي أنّ الإنسان عليه أن يسعى للحصول على
الإنسانية الاختيارية!.. وهي عبارة عن الهدف النهائي من وجود الإنسان..
والمرحلة الأخيرة التي يصل إليها الإنسان في مشوار كمالاته.. وهي الفصل
الأخير من كمالات الإنسان..

وهذه الكمالات الإنسانية الاختيارية ليست كمالات تكوينية يجد
الإنسان نفسه أنه متمتع بها كالبصر والسمع والإحساس والحركة وما شابه..
كلا.. فهي كمالات لا بد للإنسان أن يسعى لها بقدمه وسعيه وإرادته.. كما
في الآية المباركة ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (١).

هنا في عالم الدنيا هناك أشياء كثيرة حصل عليها الإنسان من غير
سعي.. ووجد نفسه مלאى بالنعمة التكوينية.. ولكن في عالم الآخرة لن يكون
للإنسان إلا ما سعى إليه وحصله بإرادته.. سواء كان خيراً أم شراً.. كما هو
مفاد الآية المباركة المتقدمة..

ومن كمالات الإنسان الاختيارية التي يجب عليه السعي نحوها..
العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن.. وهذه محاور ثلاثة
تمثل العلم الحق والقلب الحي وجمال الظاهر.. ولكمالات الإنسان مراتب

تكاملا خياليا شيطانيا أي من جهة الأوهام الشيطانية.. أو تكاملا إنسانيا
ملائكيا أي من جهة العقل... وبإمكان الإنسان أن يتكامل في الجهة الشهوة
والغضب والوهم دفعة واحدة على حساب العقل..

عرفنا أنّ على الإنسان أن يتكامل في إنسانيته.. ولكن ما هي إنسانية
الإنسان؟! وكيف نتعرف عليها؟! وما هي حدودها؟!...

البعض من الناس وهم كثيرون يرون أن الموسيقى والرقص والطرب
والفن والتمثيل والأزياء وما شابه ذلك كله يدخل ضمن دائرة كمالات
الإنسان.. فدائرة كمالات الإنسان في نظرهم واسعة وأصحاب هذه الفنون
يرون أنفسهم قد تكاملوا في الإنسانية وبلغوا قصب السبق فيها..

ولكن مما لا شك فيه عند الإسلام أنّ بعض هذه الفنون تشكّل نقصا
فادحا لإنسانية الإنسان وتلقي به بعيدا عن حاشية الصراط المستقيم
الإنساني...

والسؤال هنا كيف نميّز تمييزا عقليا بين الأشياء التي تعد كمالات
حقيقية للإنسان وبين الأشياء التي تعتبر كمالات زائفة للإنسان.. يحسب
ويتوهم أنها كمال ولكنها نقص ووبال على إنسانيته؟!....

وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي علينا أن نتعرف على فطرة الإنسان
ونحددها تحديدا واضحا يميزها عن غيرها من صفات الحيوان والنبات
والجماد... وذلك لأنّ التكامل الإنساني في خط الفطرة فقط يكون تكاملا
إنسانيا حقيقيا... وأما إذا كان تكاملا في خط الحيوان مثلا فليس تكاملا
بشرياً بل هو تكامل حيواني لا إنساني..

والحركة الإرادية والإدراك لما حوله.. والميل نحو الطعام والشراب والجنس.. والخوف من الخطر.. وما شابه مما يشترك به الإنسان مع الحيوان.. ولكن هل الإنسان حيوان محض لا يتميز بشيء عن سائر أنواع الحيوان الأخرى.. أم أنه يرتفع بكمالاته إلى مستوى أرفع من الحيوان ويتجاوز الحيوانية كما تجاوز من قبل الجسمية والنباتية؟؟!!...

لا أعتقد أنّ ثمة في العالم من يقول عن نفسه أنه حيوان محض أو حتى يحتمل ذلك.. ومن أفضح الشتائم أن تسب شخصا فتقول له يا حيوان!!!... مع أنه لو قيل له يا جسم لكان أقل فظاعة ومضضا عند هذا الشخص!!!...

فلماذا النفور من الحيوانية!!!.. وهي إحدى أبعاد الإنسان وبعض مراتبه الكمالية؟؟!!...

هذا النفور من الحيوانية خير دليل على ارتقاء الإنسان عن مستوى الحيوانية ليتجاوزها ويرتفع عنها ارتفاعا هائلا.. ليبلغ إلى هضبة الإنسانية.. إنها الهضبة التي سيبدأ منها السير والسلوك نحو الله تعالى لينتهي به المقام إلى قمة جبل الإنسان الكامل..

فالإنسان يتميز عن الحيوان بنفس ناطقة.. فما هي النفس الناطقة؟؟!!... النفس الناطقة هي النفس التي لديها قدرة على الإدراك والاستنتاج والتعبير عن ذلك بالنطق.. فهي نفس اجتماعية أيضا.. أي تحاور الآخرين في مدركاتهما واستنتاجاتها.. وهذا ما لا يمتلكه أي نوع من عالم الحيوان.. نعم هناك في الحيوان قوة إدراك.. لكنه ليس إدراكا استنتاجيا..

الحقائق الربانية.. بل يستغلونها في بناء أمر الدنيا وكيفية تعميمها فقط!!..
فعندما تسألهم عن أمور دنياهم يشمرون عن سواعدهم الأذبال!!.. ولكن لو
سألتهم عن أمر خالقهم وآخرتهم لتلكأوا وحاروا!!.. وكأنّ أذهانهم لم
تخلق لهذا الشأن!!..

ومقام القلب هو قوة الشعور بالأشياء المدركة بالعقل.. وهذه القوة
موجودة لدى الإنسان في أصل تكوينه ولكن على الإنسان اختياراً أن
يستغلها ليصل إلى مقام الشعور بوجود الله عز وجل بعد الإدراك العقلي به
تعالى.. وهكذا بالنسبة إلى سائر الحقائق الإلهية ينبغي أن تنتقل كلها من
مقام العقل إلى مقام القلب.. من مقام الإدراك إلى مقام الإحساس والشعور
والذوق.. والفرق بين العقل والقلب كالفرق بين معرفة الحلاوة وتذوق
الحلاوة.. فالعقل معرفة مجردة والقلب تذوق وشعور..

إذن.. للإنسان نفس ناطقة تميزه عن سائر أنواع الحيوان.. وهذه النفس
الناطقة لها مقامان.. مقام العقل ومقام القلب..

ولمقام العقل حيثان...

حيثية بها يدرك الأشياء التي لا علاقة لها بالفعل أو عدم الفعل.. مثل
إدراكه بأنّ الواحد نصف الاثنين..

وحيثية يدرك بها الأشياء من حيث وجوب فعلها أو وجوب تركها..
مثلاً يدرك الإنسان بعقله وجوب فعل العدل ووجوب ترك الظلم.. وهذا ما
يعبر عنه بإدراك العقل لحسن العدل وقبح الظلم.. فالعقل يقول أنّ العدل
حسن (أي ينبغي فعله ويجب)، وأنّ الظلم قبيح (أي لا ينبغي فعله ويجب

شابه.. وهي التي ترد فيها تعبيرات الحسن والقبح إشارة إلى الجانب العملي من لزوم الفعل أو لزوم الترك.. ولكن سائر المسائل التي لا يرد فيها هذا النوع من التعبير هي من نوع العقل النظري كمسألة أن الله تعالى موجود وأنه عز وجل كامل وأنه واحد وما شابه..

نعم إنّ العقل النظري قد يمد العقل العملي بالإمدادات اللازمة.. مثلاً يقول العقل النظري الخالق موجود.. هنا يأتي العقل العملي ويقول.. إذن تجب عبادة الخالق وأن عبادة الخالق حسنة... فهنا عندنا معلومتان.. إحداهما من مدركات العقل النظري والأخرى من مدركات العقل العملي.. هما: الخالق موجود، عبادة الخالق حسنة... حيث الأولى نظرية والثانية عملية كما هو واضح...

ونعود لنقول أن مقام العقل بحيثيته النظرية والعملية هو جانب تكويني في الإنسان وليس باختيارى.. بعبارة أوضح أن الله عز وجل أنعم علينا بقوة عقلية من خلالها يمكننا أن ندرك الجوانب النظرية والعملية.. إلى هنا انتهى الجانب التكويني.. ويبقى الجانب الاختياري وهو استغلال العقل وتوجيهه بقوته النظرية والعملية نحو الهدف المطلوب من وجود الإنسان وخلقته...

إذن هناك جهازان إلهيان خاصان بالإنسان.. هما جهاز العقل وجهاز القلب.. والعقل يتفرع إلى العقل النظري والعقل العملي.. والعلاقة بين هذه الأمور الثلاثة هي أنّ العقل النظري يدرك ثم العقل العملي يأمر أو ينهى ثم القلب يشعر ويتأثر...

بحب شرب الخمر ويشعر بالسعادة حين الشرب!!...
ستحدث فيما بعد حول هذا الموضوع...
ولكن كل الذي يهمنا الآن.. هو بيان فطرة الإنسان!... فما هي
الفطرة؟!...

وقد كانت هذه مقدمات ضرورية لفهم الفطرة...
ولإيضاح حقيقة الفطرة نحتاج أن نركّز على أبعاد الإنسان المختلفة..
ثبت لنا بالوجدان أنّ للإنسان جسما..
كذلك أنّ له نفسا نباتية..
كذلك أنّ له نفسا حيوانية..
وأخيرا أنّ له نفسا إنسانية ناطقة.. فيها عقل نظري وعملي وقلب
شاعر..

ومن الواضح كما كررنا ذلك مرارا في بداية الموضوع هو أنّ الإنسان
بكل هذه النعم الجسمية والنباتية والحيوانية والإنسانية هو مخلوق وقد
خلقت معه هذه النعم من غير أن يختار جسميته أو نباتيته أو حيوانيته أو
نفسه الناطقة بعقلها وقلبها..

وفجأة وجد نفسه موجودا مزيجا من جسمية ونباتية وحيوانية
وإنسانية... وسمي إنسانا تبعا لأشرف أجزائه...
ونذهب الآن للجسم لنجد أنّ له خصائص خاصة مطبوعة في
جسميته.. هي خصائص تكوينية في الجسم...
مثلا جسم الماء له خصائص تكوينية مثل السيولة والشفافية وانعدام

ولكن ما هي هذه الخصائص بنحو من التفصيل!!!؟
الفطرة التي فطر الناس عليها هي تلك الخصائص التكوينية التي
أودعها الله عز وجل في النفس الناطقة الإنسانية..
وبما أنّ النفس الناطقة لها مقامان مقام العقل ومقام القلب فيمكن
تقسيم الفطرة إلى قسمين.. فطرة متعلقة بالعقل وفطرة متعلقة بالقلب..
فالعقل في الإنسان له خصائص تكوينية قد فطر عليها.. كما أنّ القلب
له خصائص تكوينية قد فطر عليها....
ونبدأ بالفطرة التي فطر عليها العقل..

وجد عقل الإنسان نفسه مفطورا على معرفة البديهيات.. مثلا وجد
نفسه يعلم بأنّ اجتماع النقيضين محال.. وأنّ لكل أثر مؤثرا.. وأنّ الكل
أعظم من جزئه..
كانت هذه أمثلة لحيثية العقل النظري.. وأما العقل العملي فكذلك
وجد نفسه مفطورا على معلومات بديهية من قبيل أنّ العدل حسن والظلم
قيح..

فهذه كلها معلومات فطر عليها عقل الإنسان.. ويمكن أن يقال بتعبير
آخر فطر على أن يعرفها.. فمستحيل أن لا يعرفها.. فهو غير مختار في
معرفتها.. لأنه وجد نفسه مفطورا على معرفتها..

هذه فطرة العقل..

وأما فطرة القلب..

فالقلب أيضا وجد نفسه مفطورا على مشاعر فطرية موجودة في

مضادا للنفس الناطقة... كيف ذلك؟؟...

لأنّ الإنسان يمتلك أبعادا أربعة فهو مؤهل للتكامل في أيّ من هذه الأبعاد.. غاية ما في الأمر أن هناك تعارضا بين هذه الأبعاد ولا يمكن التكامل فيها جميعا بنحو مطلق.. فبعضها ضد الآخر وبعضها يرفض الآخر.. والإطلاق لأحدها يوجب التقييد في الآخر...

والذي يهمننا من هذه الأبعاد الأربعة هما بعدان فقط.. الجانب الحيواني والجانب الإنساني.. وأما الجسمية والنباتية فتأثيرهما على نفس الإنسان بنحو ضعيف خاصة إذا عرفنا أن التكامل الجسمي والنباتي (النمو والتنفس) شبه تكويني...

وأما الجانب الحيواني فله تأثير كبير جدا على نفس الإنسان إلى درجة يمكن أن يصبح فيها الإنسان كما قال الإمام علي عليه السلام: (الصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان!) (٣).

والصراع الأعمق الذي يدور في باطن الإنسان هو بين الحيوانية ومتطلبات الغرائز الحيوانية وبين الإنسانية ومتطلبات الفطرة الإنسانية... فلا يمكن الجمع بين متطلبات الغرائز الحيوانية ومتطلبات الفطرة الإنسانية... فالغرائز تدعو إلى طريق والفطرة تدعو إلى اتجاه آخر معاكس تماما!...

ولا يعني هذا أنّ الفطرة تدعو إلى قتل الغرائز!.. كلا أبدا!.. بل تدعو إلى تنظيمها وتقييدها.. ويمكن مع تقييد الغرائز أن تصبح هذه الغرائز المقيدة عوناً للإنسان في سلوك صراط الفطرة المستقيم...

الخيار الصحيح الذي ينبغي على الإنسان اختياره هو الخيار الثاني أي التكامل المطلق في الجانب الفطري والمقيد في الجانب الغريزي.. ويعني ذلك أن الجوانب الفطرية نور وبهاء مطلق.. لا يحدها حد ولا يقيدها قيد.. ويمكن إيضاح هذا المعنى بهذا الشكل:

ولنأخذ مثالا لأحسن وأرقى فطرة عند الإنسان وهي فطرة التعلق بالكمال والجمال المطلق الذي لا تشوبه شائبة نقص أبدا.. فهو أي الكمال المطلق الذي هو الله عز وجل: نور مطلق من غير ظلمة (طبعاً ليس المراد من النور معنى الضوء الفيزيائي بل إذا أطلق على الله عز وجل يكون بمعنى الوجود وتكون الظلمة بمعنى العدم).. وهو قدرة كله من غير عجز وعلم كله من غير جهل وحياة كله من غير موت.. فلا يشذ عن ذاته كمال ولا صفة جمال..

فهو تعالى محبوب الإنسان الحقيقي... والإنسان كل إنسان.. والبشر كل البشرية لا يحبون في واقع أمرهم سوى الله عز وجل!.. هذا ما تقوله فطرتهم.. التي جبلوا عليها..

نحن لم نخلق لنحب أي شيء مطلقا سوى شيء واحد وهو الجميل المطلق والكمال المحض.. وكل شيء لا يكون جمالا مطلقا ولا جمالا محضا ويكون مشوبا بالنقائص فهو خارج عن تعلق قلب الإنسان!.. ولذلك نجد الإنسان يحب كمال الشيء وينفر من نقصه.. مثلا يحب الكمال الذي في الأكل وينفر من نقائص الأكل.. يحب السيارة من جهة كمالها وينفر من نقائصها..

حد الفعلية ويصبح متعلقا بالكمال المطلق حقيقة وبالفعل...
ولكن يمكن أيضا أن لا تستغل هذه القابلية الفطرية وتهمل وتفسد..
كما تفسد قابلية البذرة لتصبح شجرة.. وذلك حينما تهمل البذرة ولا تستغل
قابليتها بالشكل المطلوب.. فيمكن أن تهيأ الأرضية الخصبة للبذرة لتصبح
شجرة مثمرة ويمكن أن ترمى في الشارع أو الصحراء فتضيع قابليتها هباء..
وفساد قابلية التعلق بالكمال المطلق تنشأ من التوجه القلبي للكمالات
الناقصة.. رغم أن القلب يحب جهة الكمال وينفر من جهة النقص إلا أن
القلب ممكن أن يخدع!.. ويصور له النقص على أنه كمال... ويحسب ما
ليس بكمال كمالا.. ويحسب ما ليس بجمال جمالا!..

ومن هنا يبدأ نور الفطرة بالخفوت!.. وتوهج التعلق بالكمال المطلق
الحقيقي بالانطفاء.. ويبدأ الإنسان يحب ما يحبه الحيوان!.. ويتعلق بالكمال
الزائل والناقص.. والارتباط بالأنوار الناقصة.. ويبتعد عن مصدر النور
المطلق شيئا فشيئا... ويصد عنه.. ويحسب أن الارتباط بالنور المطلق
خرافة.. وإن لم يعتقد أنه خرافة وأسطورة فإنه على الأقل سيتجنب
الارتباط به خوفا على ضياع الكمالات الناقصة وفقدانها.. رغم أن العقل
يقول أن النور الأتم يغني عن النور الناقص..

عموما إنَّ التوجه الفطري نحو الله عز وجل والكمال المطلق يضر
بالغرائز الحيوانية.. ولا يسمح لها بالانطلاق بلا حدود.. لأنَّ الغرائز الحيوانية
تلهي الإنسان عن الكمال المطلق وتجعله مرتبنا بالكمالات الحيوانية
الناقصة... رغم أنَّ الإنسان يريد أن يخلق بعيدا نحو الجمال الأبهى..

ومن هنا لا بد أن نعرف أن إرسال الرسل والأنبياء إلى الناس أساسا من أجل تنمية الفطرة.. وبعبارة أخرى إن الله تعالى أرسل مع الأنبياء خريطة متكاملة لتنمية الفطرة..

ولذلك ورد في الروايات المباركة عن أهل البيت عليهم السلام أن الإسلام دين الفطرة... أي أنه جاء موافقا للفطرة منميا لها زارعا لها موصلا لها لأعلى مستوياتها...

إذن الإنسان في طريق تكامله الفطري يحتاج إلى نورين وحجتين...
نور في باطنه وهو نور الفطرة والعقل..
ونور من خارجه وهو نور النبوة والرسالة...

سأقف عند هذا الحد!..

وأسأل الله عز وجل التوفيق لي ولكم..
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

الهوامش

(١) سورة النجم، الآية ٤.

(٢) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٣) نهج البلاغة، ج ١، ص ١٥٣.

هل إننا ندرك الحقيقة كما هي أم لا ؟؟؟؟ فهنا نظريتان:
نظرية اليقين ونظرية الشك ...
نبدأ بنظرية الشك وبطلانها يؤدي إلى صحة نظرية اليقين .

❖ نظرية الشك:

هذه النظرية عبارة عن سفسطة ولكن بصورة جديدة، وإن زعم أصحابها أنها طريقة وسطى بين السفسطة والفلسفة "أصحاب نظرية اليقين" طرح أصحاب نظرية الشك شبهات على الإدراك وتوصلوا من خلالها بأن إدراك الحقيقة لا يمكن .

الشبهة الأولى: خطأ الحواس وهي بأن الحواس لا ترى ما هو الواقع، فمثلاً البصر يرى العصا في الماء مكسورة وفي الخارج مستقيمة، وحاسة اللمس اذا وضع أحدهم يده في ماء بارد واليد الأخرى في ماء ساخن ثم وضعهما في ماء دافئ فإن كل يد تعكس حرارة الماء غير ما تعكسه الأخرى وقس على ذلك بقية الحواس .

والجواب بوجهين:

الوجه الأول: وهو نفس الجواب الذي أجيب به على السوفسطائيين وهو تعامل بني البشر ومن ضمنه الشكاكين والسوفسطائيين، فإنهم يتعاملون تعامل من يعترف بوجود حقيقة كما أسلفنا سابقاً وهذا التعامل قد ولد بواسطة الحواس .

الوجه الثاني: هو اهتدائهم إلى أن الحواس تخطئ فلا بد لهذا الاهتداء من سبب، فإن كان العقل فهم ينكرونه وإن كان شئ آخر فلا بد

خواص لهذه المادة، فمثلاً يرون التفكير الذي هو مجرد عن المادة هو تفاعل للمادة . أما النظرية التي تقول بوجود حقيقة وراء حقيقة الوجود، هذه النظرية في الواقع تنقسم إلى نظريتين.

الأولى: نظرية تقول بأن وراء هذا العالم حقيقة واحدة ومؤثر واحد والأخرى ترى أكثر من مؤثر.

البرهان: ونكتفي بذكر واحد:

وهو برهان النظم: لو نظر أي إنسان إلى نظام هذا العالم لرآه منظم ومنسق فالشمس تشرق كل يوم وتغرب فيتشكل الليل والنهار والقمر ينزل منازل كل شهر وغيرها من النظم . هذا النظام هو نظام واحد ولا يصدر إلا من واحد، لأن المؤثر في هذا العالم إذا كان أكثر من واحد فلا بد أن تغلب قدرة أحدهما على الآخر . وهذا النظام لا يعود إلى المادة كما زعم الماديون لأن المادة مجردة لا يمكن أن يصدر منها هذا النظام لاستلزام التناقض . فلو أن خاصية مادة الشمس أن تغرب فلا بد أن تغرب دائماً ولا تعود للشرق لأن خاصيتها هكذا .

تتمة:

إذا اعترفنا بوجود النظام التكويني في الكون واعترفنا بأن له منظم واحد، فلا بد أن نعترف بوجود نظام تشريعي واحد يتمثل في النظام التشريعي للإسلام لأن لو كان هناك نظام تشريعي آخر فلا بد أن يصدر هذا التشريع ممن له اطلاع على ما في أسرار الكون ليضع تشريعاً يناسب الإنسان ولا يلحق ضرراً بالكون والكل يعلم بأن البشر يجهل الكثير من

حقيقة العصمة

محمد باقر خليل الشيخ

✍ إن من أخطر المناصب وأكبرها مسؤولية قيادة المجتمع البشري وهدايته وإرشاده إلى سبل السعادة، ومسألة مصونية هذا القائد ومن يُلقى عليه هذا الأمر لا يختلف فيها اثنان من حيث إقباله على خلاف ما يدعوا ويرشد إليه بل أعم من ذلك بكثير، إذ لا بد أن يكون منزّه عن كل ما ينفر الناس من حوله.

هذا وبطبيعة النوع البشري أنه لا يميل لمن لا يرى منه تطبيق و تفعيل ما يأمر به، وليس أكبر من أن يُنصب الإنساناً لهداية الخلق من قبل خالقهم فتُخالف هذه الطبيعة، وذلك كله لما في مخالفة القول للعمل من عدم تأثير فيهم، بل قد يكون هو الداعي والمشجع على الانحراف والسقوط والإتيان بما يخالف ما يأمر به.

ومن هذه المقدمة ننتقل في حديث حول (العصمة) التي تعتبر أولى المؤهلات لشخصية هذا المبعوث بالدعوة وكيفية نشوء هذا الوازع المؤدي لها.

● ما هي العصمة ؟

أ- لغة: (العصمة في كلام العرب: المنع وعصمة الله لعبده أن يعصمه

● تحليل التعريف:

١- كيف نفساني: فهي كسائر الملكات والكيفيات النفسانية الراسخة في نفس الإنسان والعصمة هي الموصلة للإنسان إلى حد لا يرى في حياته أثر من العصيان والطغيان والتمرد والتجري وتصير ساحته نقيه عن المعصية.

٢- يمتنع به الإنسان عن مخالفة الأوامر المولوية: وخصت الامتناع عن مخالفة الأوامر المولوية لما جوزوه من وقوع المعصوم في مخالفة الأوامر الإرشادية^(٨).

٣- مُفاض بلطف من الله تعالى عليه مع بقاء قدرته على ارتكابه: سيأتي إن شاء الله توضيحه في طيات البحث. ولا نتعرض لتعاريف باقي المتكلمين من فرق المسلمين خوفاً من الإطالة.

● أقسام العصمة:

تنقسم العصمة باعتبار من تلقاها إلى قسمين:

أ- نسبية: وهي التي تمنع الإنسان من الوقوع في المعاصي في الجملة.
ب- مطلقة: وهي التي تمنع الإنسان من الوقوع في المعاصي بالجملة.
وقد تعم النسبية كثيراً من الناس بشكل مشكك من غير فرق بين أولياء الله وغيرهم من الناس، لأننا نرى بأن من يمتلك شيئاً من الشرف والذي لا يقل وجوده في أوساطنا و إن كان يقترب بعض المعاصي، لكنه يمتنع عن بعضها ويجتنبها اجتناباً تاماً بحيث قد تصل حتى إلى امتناعه عن التفكير بها

العقد الثالث ❦ رسالة القلم ٧٧

مرسلهم سبحانه وتعالى ولا يتخطاه قيد أنملة وهذا الإتيان مما لا يمكن وقوعه إلا بعصمتهم المطلقة القطعية في جميع جنبات حياتهم وإلا لزم منه نقض غاية البعثة وفعل القبيح بإرسال من هم ليسوا في مستوى تأهيل الناس أي وضع الشيء في غير موضعه الصحيح، وكذلك الإغراء بالقبيح والتشجيع على الخطأ، وبديهي بطلان هذه الثلاثة لما ثبت في محله من حكمته تعالى.

● عوامل العصمة.

سير المتكلمون بحر الأدلة العقلية لإثبات عصمتهم عليهم السلام مما أوصلها لما يقارب العشرة^(١٠) براهين ويزيد، على أن الكلام لدينا يقع حول دليل العلم الذي هو عمدة في إثبات العصمة من خلال نفس المعصوم لا من خلال لوازم عدم بعثة المعصوم العائدة على الله تعالى ومنافاة حكمته، فمثلاً برهان نقض الغرض لا يرجع لنفس المعصوم وإنما هو راجع لله تعالى فلمنافاة حكمته مع نقض الغرض أثبتنا العصمة. فالبحث إذن يقع في بيان علاقة العلم بالعمل الكاشف عن العصمة، وهذا الجانب هو ما نحاول التركيز عليه والإجابة عن الإشكالات الواردة عليه.

لماذا أخذتم العلم-النظرية الإسلامية للسلوك- دون غيره من الدوافع-النظريات الأخرى-؟ فلماذا لا نقول مثلاً بأن عصمتهم نابعة من البيئة التي عاشوها أو غيرها من النظريات؟
تطفح كتب علم النفس بالآراء المفسرة للظاهرة السلوكية للإنسان

على نظام بيئتهم إلى حد التباين الكلي كأصحاب الكهف و الأخدود و حبيب النجار و مؤمن آل فرعون.. وغيرهم الكثير ممن رفضوا التقيد بالمجموع السلوكي لمجتمعهم رغم ما لاقوا من صعوبات، هذا وإنه لو التزمنا بالقول بأن المحيط البيئي هو المنشأ للعصمة يأتي السؤال بأنه لماذا عُصم هذا الفرد من دون باقي أفراد بيئته؟

٢- **الاتجاه العصبي:** يرى أصحاب هذا الاتجاه أن معرفة سلوك الإنسان متوقفة على معرفة حركات دماغ الإنسان و خلاياها التي تتكون من ١٢ بليون خلية و عدد لا متناهي من الوصلات العصبية وهو أعقد نظام موجود على وجه الكون.

ويرد عليه:

التعقيد الكبير للدماغ و الصعوبات المتعلقة بدراسة الأدمغة و إمكانية توفرها تشكل حائل كبير في إعطاء أي نتيجة دقيقة في السلوك فضلاً عن تأسيس نظرية متكاملة على أساس عصبي، ولو إعتدناها كيف يمكننا تفسير كفر بعض من كبار العلماء ذوي الأدمغة الكبيرة المتحركة؟

٣- **الاتجاه الإنساني:** جاء هذا الاتجاه كثورة على الاتجاهات الجبرية لحركة الإنسان التي أوقفت سلوك الإنسان على البيئة أو الوراثة وغيرها، و مفاد نظريتهم بأن الإنسان يتحرك وفق إرادته و عزمته و هذا ما يميزه عن باقي بني جنسه الحيواني فهو نشط و فاعل و قادر على ضبط مصيره و تغيير بيئته المحيطة به. فلا مجال لأن يلوم الإنسان بيئته أو أبويه أو الظروف المحيطة و ما شابههم.

في نوعية العلم لدينا فهو إن كان حصولياً فلا يتعدى كونه صوراً ومفاهيم عقلية سرعان ما تتلاشى من الوجود الذهني ولا يعود لها أثر، وقد يغفل الإنسان عنها فتراه يخالف علمه عمله، بخلاف ما لو كان العلم حضورياً فهو مرتبط بالنفس أشد ارتباط، ومتضامن معها ولا يعقل غيابه عنها حالة وجوده فيها، فهو بمجرد طرق أبواب النفس تفرع إليه وتسعى نحوه وتعمل بما يمليه عليها، وهذا ما نراه واضحاً في حال إحساسنا بالخوف مثلاً، فهل تتأخر ردة فعلنا عن الإحساس به ؟

● إشكال ورد:

كيف تجمعون بين قولكم هذا والآية القرآنية (وجحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلماً و عدواناً) فالآية تقر بأن هناك من لديهم مرتبة اليقين ومع ذلك جحدوا بما استيقنوا به، وكذلك قولكم بأن إبليس كان من أكبر العلماء ومع ذلك نرى منه العناد لله تعالى.

والجواب:

إن هذا الجحد قسم من أقسام الكفر وهو بتعبير الإمام الصادق عليه السلام: (هو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق قد أستقر عنده)^(١٥) فهو إذن ليس من صنف العلم الحقيقي الذي فصله الإذعان والتسليم في الباطن والظاهر والذي لا يمكن تأخر مفعوله عنه و أما ما سوى ذلك فكله ليس من كلامنا، وكذلك يفسر عصيان إبليس لأمر الله تعالى مع كونه عالم بل من أكابر العلماء.

فيتضح من ذلك كله بأن المنشأ الرئيسي لعصمة الأنبياء في سلوكهم

سيكون صالحاً مؤهلاً لتلقي هذا اللطف وهذه المهمة - الهداية - .

٢- ثبت كذلك بأن قدرته تعالى تشمل كل شيء وان ليس
لقدرته أي حدود وفق براهين عقلية تراجع في مضانها (١٧).

٣- إن كل من يدعي هداية الناس وقيادتهم لا يتبعه الناس ولا
ينقادون له إن كان في ماضيه سالكاً مسلكاً غير الذي يدعوا إليه، بل
يتوقف ذلك حتى على النظر في نسبه وكل ما يوجب نفرة الناس
عنه، وكل ذلك يرجع للأصل المتقدم، وهو تقبل المجتمع لقيادتهم.
بعد هذه المقدمات نقول بأن ارتفاع المانع - الجهل والضعف - ووجود
المقتضي - هداية الناس - لا يُبقي لهذا الإشكال أي صدى، ويعرف بأنه
سبحانه وتعالى إنما عصمهم قبل وجودهم الحسي لعلمه الأزلي بأنهم أولى
مخلوقاته بهذا اللطف و المفخرة، هذا وإن المتطلع في سير الأنبياء والأئمة
عليهم السلام، يعرف مدى نبوغهم و تفوقهم في قابليتهم العلمية والروحية
منذ صغرهم فهذا عيسى عليه السلام يكلم الناس وهو في المهد صبياً و يحيى عليه السلام
أوتي الحكمة صبياً وكذا الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام تولى منصب
الإمامة الذي هو أرقى المناصب الإلهية وهو بعد لم يبلغ الحلم في سن
التاسعة من عمره الشريف، والكثير الكثير من الشواهد التي تدل على
العناية الإلهية بهم وهم في عوالم الأصلاب، كولادة الإمام علي عليه السلام في
جوف أقدس بقاع الأرض الكعبة المشرفة.

وأما الشرط الثاني من السؤال فهو غير وارد أبداً لما تقدم في تعريف

- معرفة مقامهم عند الله الذي جعله يختصهم بلطفه.
- معرفة أفضليتهم على سائر المخلوقات والتي لولاها لما قدموا عليهم.



الهوامش

- (١) لسان العرب ج ١٢ ص ٤٠٣.
(٢) المفردات للإصفهاني ص ٥٦٩.
(٣) القاموس المحيط ج ٤ ص ٢١٢.
(٤) تاج العروس ج ٨ ص ٣٩٨.
(٥) المقاييس ج ٤ ص ٣٣١.
(٦) أوائل المقالات للشيخ المفيد ص ١٥٦.
(٧) الباب الحادي عشر للعلامة الحلي ص ٩٠.
(٨) ينقسم النهي إلى قسمين : مولوي وإرشادي والفرق بينهما بأن الأول صادر من موقع المولوية والسلطة والأمر الواجب إطاعته فيوجب المولى هنا الإطاعة وعلى إثر العمل بهذا النهي أو تركه يترتب الثواب والعقاب، والثاني ما يكون صادر على نحو النصح والإرشاد من دون أخذ قيد الأمر الواجب إطاعته ويترتب على العمل به أو تركه آثار خاصة غير العقاب والثواب كفقده نعيم دنيوي وما شابهه.
(٩) كسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام والسيدة مريم عليها السلام اللتان اصطفاهما الله.
(١٠) الأدلة العقلية على عصمتهم:
١- العوامل النفسية.
٢- دليل الإعتقاد.

الغيبية

وأثارها في الحياة الإنسانية

(القسم الأول)

عبد الله علي الدقاق

تقديم

كنت قد كتبت بحثاً في سالف الزمان حول الغيبة، وقد عرضته على علمين بارزين من علماء البحرين في ذلك الزمان، فأفاداني مشكورين ببعض ملاحظتهما، بعد أن استحسنا فكرة طباعته، إلا أنني لم أكن راغباً في طباعته آنذاك، فبقي البحث محفوظاً من دون طباعة، وجاءت انطلاقة مجلة رسالة القلم، التي تهدف إلى تنمية الأقسام، فرأيت من المناسب أن أطرح ذلك البحث المكتوب فيها من دون أي تغيير، لأنه يعكس الجهد العلمي لتلك الحقبة الزمنية، ولذلك لم أدرج فيه حتى تلك التعليقات التي استفدتها من العلمين، من باب الأمانة العلمية.

مدخل:

لإرساء حاكمية دين الله في الأرض لا بد من تحقق المجتمع الإسلامي السليم، ومن أجل تحقيقه لا بد من ترسيخ المبادئ السامية للإسلام المحمدي الأصيل في الأسرة المسلمة؛ حيث أنّ هذه الأسرة هي النواة التي

يتشكل بها المجتمع الإسلامي، ومن هنا جاءت تعاليم الشريعة الغراء لكى ترسم للفرد المسلم الطريق القويم والصراط المستقيم؛ إذ بالأفراد تتكون الأسر التي تشكل المجتمعات البشرية التي حرص الإسلام على غرس القيم الأصيلة فيها، كما أنه حرص كلَّ حرص على صيانتها وتنزيهها من الخصال الذميمة.

ومن هنا تنبثق أهمية البحث حول الغيبة، فالغيبة، من الآفات الاجتماعية الخطيرة التي لو كتبت لها أن تنفشى في المجتمع الإسلامي لقصت عليه ومزقته تمزيقاً وأودعته في قعر الجحيم!! هذا من جهة.

ومن جهة أخرى نلاحظ أن هذه الآفة تعترض مسيرة الإنسان المسلم وخصوصاً المؤمن الرسالي، فهي في الأعم الأغلب مورد ابتلاء الكثير من المؤمنين والعاملين، بل إنها منتشرة بين الناس انتشاراً كبيراً وملحوظاً حتى عبّر عنها بعضهم بأنها فاكهة المجالس.

ومن المعلوم أن الغيبة من الذنوب الكبيرة إن صح تقسيم الذنوب إلى صغيرة وكبيرة، وقد عدّها السيد عبد الحسين دستغيب رحمه الله أول الكبائر غير المنصوص عليها وفقاً لتقسيمه للذنوب الكبيرة في كتابه القيم ((الذنوب الكبيرة))، حيث أنه قد قسم الكبائر إلى قسمين:

القسم الأول: كل ذنب ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة التصريح بأنه ذنب كبير (وهذا القسم يتجاوز أربعين ذنباً) صرّح به في أخبار أهل البيت عليهم السلام (١)، وأولها وأكبرها الشرك بالله كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في أصول الكافي قوله: ((أكبر الكبائر الشرك

بالله)) (٢).

القسم الثاني: كل معصية ورد في القرآن الكريم والسنة المعتمدة الوعيد عليها بالنار (٣) إلا أنه لم يصرح بأنها ذنب كبير، و((يجب أن يعلم أن مدرك هذا الحكم روايات عديدة صرحت بهذا الأمر من جملتها صحيحة ابن أبي يعفور عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال عليه السلام في معرفة عدالة الشخص: ((ويعرف باجتناّب الكبائر التي أوعد الله عليها النار)) ويظهر بوضوح من هذا النص أنّ كل ذنب وعد عليه بالنار فهو من الكبائر)) (٤) و ((أول الذنوب التي ثبت أنها من الكبائر بدليل الوعيد عليها بالعذاب في القرآن المجيد والروايات الكثيرة هو الغيبة))، كما يقول تعالى في سورة النور: ((إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) (٥) وفي رواية ابن عمير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عزّ وجلّ)) (إِنَّ الَّذِينَ يَحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ)) اصول الكافي)) (٦).

فبالنظر إلى عظم هذا الذنب الكبير مع الالتفات إلى توغله في أوساط مجتمعنا الإسلامي نرى لزماً علينا البحث فيه ولو بشكل يسير، تمشياً مع حجم هذا الكتيب، حيث أن بعض الموارد تحتاج إلى مزيد من البحث والتنقيب حتى يتسنى للمسلم الوقوف على أبوابها بوعي تام ووعي مستنير، ومن هنا ارتأينا أن نبث موضوع الغيبة في ستة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: تعريف الغيبة وشروط تحققها وأقسامها.

الفصل الثاني: دواعي الغيبة وبواعثها.

ب- قال الخوري الشرتوني اللبناني في كتاب (أقرب الموارد):
((الغيبة اسم بمعنى الاغتيال وهي أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه
فقد اغتبهته، وإن لم يكن فيه فقد بهته، أي قلت عليه ما لم يفعله، وإن
واجهته بذلك فهو شتم))^(٨).

ج- قال ابن الأثير في كتاب (النهاية): ((الغيبة وهي أن يذكر الإنسان
في غيبته بسوء وإن كان فيه، فإذا ذكرته بما ليس فيه فهو البهت
والبهتان))^(٩).

نلاحظ أنّ هذه التعريفات الثلاثة تتضمن جميعها ما يلي:

أ- ذكر الإنسان بسوء أو بما يكرهه والوقية فيه حالة كونه غائباً.

ب- أن يكون الشيء المذكور موجوداً في الشخص المغتاب، وليس
مفترىً عليه، فلو كان مفترىً عليه لأصبح بهتاناً لا غيبة.

توجد بعض الفوارق التي نستطيع أن نستخرجها من المدلول اللفظي
للتعريفات الثلاثة وهي كما يلي:

أ- اشترط الجوهرية في تعريفه أن يكون ذكر الإنسان والوقية فيه
يؤدي إلى غمه لو سمعه، كما اشترط الشرتوني كون الذكر موجباً لكراهة
المغتاب، بينما لا نجد هذا القيد في تعريف ابن الأثير، وبذلك لا تستحقه
الغيبة على ضوء تعريف الجوهرية والشرتوني إلا إذا استوجبت أذى
المغتاب أو كراهته ذلك، أما على ضوء تعريف ابن الأثير فإن الغيبة تتحقق
وتصدق بمجرد ذكر الإنسان بسوء من وراء ظهره وإن كان هذا الذكر
السيء لا يؤذيه ولا يغمه.

((وحسب اعتقاد الكاتب إن هذه المعاني المذكورة لا تمت إلى المعنى اللغوي بشئ، بل في كل منها قيود تداخلت مع المعنى المصطلح، وعلى أي حال لا جدوى في البحث عن المعنى اللغوي، فإن المهم هو الوصول إلى الموضوع الشرعي الذي أصبح متعلقاً للتكليف الشرعي - الحرمة - وحسب الظاهر يكون لهذا الموضوع - الغيبة - قيود شرعية لا يرقى إليها الفهم العرفي والمعنى اللغوي))^(١١).

ثانياً: تعريف الغيبة اصطلاحاً:

١- الأقوال في تعريفها اصطلاحاً:

اتضح بعد ملاحظة ومراجعة أغلب مؤلفات فقهاءنا الأعلام وعلمائنا الكرام أن هناك تقريباً ثلاثة تعاريف للغيبة سنذكرها إن شاء الله تعالى، كما اتضح أن عمدة ما يذكرونه من تعريفات للغيبة وما يتفرع عليها مستقى من كتاب ((كشف الريبة عند أحكام الغيبة)) للشهيد الثاني قده^(١٢)، حيث قال في مقام بيان تعريفها ما يلي: ((وأما بحسب الاصطلاح فلها تعريفان: أحدهما: المشهور وهو ذكر الإنسان حال غيبته بما يكره نسبته إليه مما يعد نقصاناً في العرف بقصد الانتقاص والذم، فاحترز بالقيّد الأخير وهو قصد الانتقاص والذم عن ذكر العيب للطيب مثلاً أو لاستدعاء الرحمة من السلطان في حق الزمّن والأعمى بذكر نقصانهما، ويمكن الاستغناء عنه بقيد كراهته نسبته إليه.

الثاني: التنبيه على ما يكره نسبته ... إلخ، وهو أعم من الأول لشمول مورده اللسان والإشارة والحكاية وغيرها وهو أولى لما سيأتي من عدم

((والغيبة وهي أن يذكر المؤمن بعيب في غيبته، سواء أكان بقصد الانتقاص، أم لم يكن وسواء أكان العيب في بدنه، أم في نسبه، أم في خلقه، أم في فعله، أم في قوله، أم في دينه أم في دنيائه، أم في غير ذلك مما يكون عيباً مستوراً عن الناس، كما لا فرق في الذكورية أن يكون بالقول، أم بالفعل الحاكي عن وجود العيب))^(١٧).

وقد ارتضى هذا الرأي الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر رحمته في تعليقه على منهاج الصالحين للسيد محسن الحكيم حيث قال: ((بل الغيبة أن يكشف العيب المستور))^(١٨) كما ارتضى هذا الرأي السيد علي الحسيني السيستاني^(١٩) والشيخ جواد التبريزي في تعليقه على منهاج الصالحين، حيث أنه لم يعلقه على هذا الرأي^(٢٠) مما يعني أنه يرتضيه وليس له نظر يخالفه.

فلاحظ أن السيد الخوئي رحمته قد خالف التعريف المشهور للغيبة في أغلب الكتب الفقهية والأخلاقية، والوجه في ذلك ما ورد في تقريراته حيث قال: ((والتحقيق أن يقال: إنه لم يرد نص صحيح في تحديد مفهوم الغيبة، ولا تعريف من أهل اللغة كي يكون جامعاً للأفراد ومانعاً للأغيار، وعلى هذا فلا بد عن أخذ المتيقن من مفهوم الغيبة وترتيب الحكم عليه: وهو أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه، وأما في المقدار الزائد فيرجع إلى الأصول العملية^(٢١)، وقد ذكر هذا في جملة من الروايات وهي وإن كانت ضعيفة السند، ولكن مفهومها موافق للذوق السليم والفهم العرفي))^(٢٢).

غيبة قطعاً، ومن الذنوب الكبيرة.

أما القسم الثاني: فهو نقل العيب الخفي عند شخص لا يقصد الذم والانتقاص، بل لغرض آخر، كالتفكه، أو الاستشهاد به، أو من باب الشفقة على صاحبه. ولا شك في أنّ ذلك حرام، والذي يظهر من الروايات أنه من موارد الغيبة ومصاديقها.

وأما القسم الثالث: فهو نقل عيب شخص لآخر يعلم بوجود ذلك العيب، وظاهر بعض الروايات أن ذلك خارج من عنوان الغيبة، وإن كان يستفاد من روايات أخرى أنّ ذلك غيبة أيضاً.

وهنا إذا كان المغتاب يقصد الانتقاص والمذمة فلا شك في حرمة ذلك، وإن كان اعتباره غيبة محل شك، وذلك لأن نفس هذا النقل يوجب الإيذاء والتوهين لمؤمن، ولا شك في حرمة، وإن لم يكن قصد المغتاب الانتقاص والمذمة، لكن يتحقق ذلك قهراً، كأن يصفه بالألقاب وأوصاف ذميمة، كما لو قال: إنه ابن يهودي، أو أمه فاحشة، فذلك حرام أيضاً، كما جاء النهي في سورة الحجرات صريحاً عن التنازب بالألقاب: ((ولا تنازبوا بالألقاب، بسّ الاسم الفسوق بعد الإيمان)) (٢٤).

المبحث الثاني: شروط تحقق الغيبة المحرمة شرعاً:

يتضح مما تقدم من التعاريف السابقة الضابط لتحقيق الغيبة المحرمة شرعاً، ففي كل تعريف توجد شروط معينة تحقق الغيبة المحرمة وفقاً لنفس التعريف المذكور، ونحن هنا نشير إلى بعض الشروط التي قد تكون لم تذكر أصلاً أو قد ذكرت إلا أننا أحببنا التنبيه والإشارة إليها وهي كما

به أو إضحاك الناس منه فما كان منها لغرض صحيح لا يحرم)) (٢٩) كما سيأتي في موارد جواز الغيبة.

وقد ذكر الشهيد السعيد السيد عبد الحسين دستغيب بعض الأمور يستحسن ذكرها هنا إتماماً للفائدة، حيث قال مانصه:

((صريح الروايات وكلمات الفقهاء أن لا فرق في ذكر العيب بين عيب وآخر، سواء كان نقصاً في البدن، أو في النسب، أو في الخلقة، وسواء في الأقوال أو الأفعال، في دين أو دنيا، أو في أمور ترجع إليه كاللباس والمنزل والمركب، وأمثال ذلك. وقد ذكر بعض (٣٠) لكل واحد من هذه الأمور مثلاً، أما الغيبة الراجعة للبدن فمثاله أن يقول: فلان أعمش، أو أحول، أو أعور، أو أقرع، أو قزم، أو أسود، أو أصفر، وأمثال ذلك من الأوصاف التي يتأثر صاحبها لذكرها.

وأما الغيبة في النسب فمثاله أن يقول: فلان أبوه فاسق، أو خبيث، أو خسيس أو حائك، أو غير شريف، وأمثال ذلك.

وأما الغيبة في الخلقة فمثاله أن يقول: فلان سئ الخلقة، بخيل، أو متكبر، أو جبان أو ضعيف أو مرء، أو سارق، أو ظالم.

وأما الغيبة في سلوكه الديني فمثاله أن يقول: فلان غير مؤدب، لا يعرف الحد، لا يعرف موضعه الطبيعي، ثرثار، أكول، نوام.

وأما الغيبة في اللباس فمثاله أن يقول: لباسه وسخ، عتيق، ممزق، طويل، قصير، وهكذا في سائر الأمور الراجعة له إذا ذكرت بسوء بنحو لا يرضى صاحبها ويجب أن يعلم أنه لا فرق في حكم الغيبة بين كشف عيب

غير مدرك لضابطة الغيبة وموارد حرمتها ومن هنا لزم عليه أن يحيط بها وبضوابطها، وأن يتعرف عليها جيداً لكونها من المسائل التي تقع في معرض ابتلائه في الواقع الاجتماعي.

ب- قد يكون المسلم عارفاً للغيبة مدركاً لحرمتها إلا أنه يغفل عن خطرها وعظمتها وكونها من الذنوب الكبيرة، ((لخفاء هذا النوع من المنكر)) (٣٣) عند النَّاس ((ولو وسوس إليهم الشيطان أن اشربوا الخمر أو ازنوا بالمحصات ما أطاعوه لظهور فحشه عند العامة، وسقوط محلهم به لديهم، بل عند متعاطي الرذائل الواضحات)) (٣٤).

ولكن مع إمعان النظر أكثر فأكثر نجد أنّ المغتاب كثيراً ما يعاني من عدة حالات نفسية أو مرضية تسوقه إلى الغيبة والاعتياب نذكر منها مايلي:

١- الإحساس بالنقص والشعور بالقصور أمام الآخرين: فيسعى لصد هذا الشعور المؤلم بالغيبة وذكر عيوب الآخرين، بل ويسعى جاهداً لعرضهم بالصورة المشوهة التي يعاني منها معاناة باطنية وإن لم تكن هذه الخصال فيهم، حيث أنّ عجزه عن الرقي إلى مستوى الآخرين يلجأه إلى الهجوم عليهم والنيل منهم في غيبيهم لكي يطفأ لهيب معاناته بالانتقاص منهم لتعويض نقصه.

٢- الكبرياء والتعالي وإرادة الافتخار والمباهاة: فالشخص الذي هو معجب بنفسه، ويرى أنّ الآخرين أدون منه، يحاول عادةً عرض الآخرين وإبرازهم بالصورة المحترقة المذمومة حتى ترتفع شخصيته وتبرز أكثر، فيرفع نفسه بتقيص غيره فيقول: فلان لا يعلم شيئاً أو لا يفهم شيئاً،

الآخرين لتلطيف أجواء المجلس وإن لم يكن بقصد الانتقاص كما هو حاصل في السخرية والاستهزاء، والدافع الرئيسي للغبية هنا إضحاك الناس على المغتاب على سبيل التعجب أو حكاية أفعاله والبوح بظرافتها، ومرجع هذا الصنف إلى القوة الشهويّة التي يصبح الإنسان بها ميالاً للعب والمرح هرباً من هموم الدنيا ومشاكل الحياة.

٦- الترحم: وهو أن يحزن ويغتم بسبب ما ابتلي به غيره فيقول مثلاً: المسكين فلان قد غمّه وأحزنه ما حدث له من الإهانة والاستخفاف، فيكون صادقاً في اغتمامه، إلا أنّه لما ذكر اسمه وأظهر عيبه صار مغتاباً.

٧- التعجب أو التبرم: كأن يرى منكراً أو مساءةً من فلان أو يسمع عنها فيقول عند جماعة: عجباً لفلان كيف يرتكب مثل هذا المنكر، أو يتبرم ويتضجر ويسأم منه، بل وقد يؤدي ذلك إلى غضبه وانفعاله فيظهر غضبه بإظهار إسمه وما عمله من سوء.

٨- تصديقه الخبر من دون كشف وتتبّع: كأن يقول شخص لشخص: إنّ فلاناً قد قام بالعمل الفلاني السيء، فيذهب المتلقي للخبر وينشر الحديث من دون تحرر للحقيقة وسعي للوصول إلى مراميها التي قد تغيب عن الأذهان.

٩- خبث النفس وسواد القلب: فسوء السريرة تولد لدى الإنسان عدّة أمور منها:

أ- سوء الطن: فيصبح الإنسان دائم الحمل على المحامل السيئة، بخلاف ما جاء في تعاليم الدين الحنيف من حمل المؤمن على سبعين

وتبرم، وتزيين، فإن أردت السلامة فاذكر الخالق لا المخلوق، فيصير لك مكان الغيبة عبرة، ومكان الإثم ثواباً))^(٣٥).



الفصل الثالث: موارد جواز الغيبة:


جاء في الروايات الشريفة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام كما ورد على لسان الكثير من العلماء جواز بعض موارد للغيبة أحصاها بعضهم اثني عشر مورداً^(٣٦)، ولكن قبل ذكر هذه الموارد يجدر بنا ذكر الضابطة التي على أساسها جازت الغيبة، ويمكن أن نذكر ثلاثة ضوابط من خلال تتبع كلمات الأعلام كما يلي:

الضابط الأول: أن لا ينطبق تعريف الغيبة على المورد المذكور كالفاسق المتجاهر بالفسق، فإنّ تعريف الغيبة: (كشف ما ستره الله عليه) لا ينطبق عليه، حيث أنه متجاهر بفسقه، وبذلك يكون المورد خارجاً عن موضوع الغيبة تخصصاً.

الضابط الثاني: أن يكون للغيبة غرض صحيح لا يمكن التوصل إليه إلا بالغيبة، فحينئذ تصح الغيبة، وهذا ما يظهر من كلام الشهيد الثاني حيث قال: ((اعلم أنّ المرخص في ذكر مساءة الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فيدفع ذلك إثم الغيبة))^(٣٧)، كما أنّ هذا المعنى صريح في كلام المحقق الكركي حيث قال: ((وضابط الغيبة كل فعل

يقصد به هتك عرض المؤمن والتفككه به، أو إضحاك الناس فيه، فأما ما كان لغرض صحيح فلا يحرم كمنصحة المستشير))^(٣٨)، فلذا يمكن أن نستخرج قاعدة كلية عامة مضمونها أنه في كل مورد يوجد غرض صحيح جازت الغيبة^(٣٩)، فيكون هذا المورد خارجاً عن الغيبة تخصيصاً.

الضابط الثالث: ليس المدار في جواز الغيبة وجود غرض صحيح فيها فقط، ((بل المدار فيها وجود مصلحة أهم من مصلحة احترام المؤمن))^(٤٠)، ولهذا ((إذا عارض الغيبة مصلحة أخرى أهم من مصلحة مراعاة احترام المؤمن وعدم انتهاك حرمة فلا إشكال في جواز الغيبة حينئذ كما في سائر المحرمات عند مزاحمتها مع ما هو أهم منها عقلاً أو شرعاً^(٤١)، وأما ما يظهر من عبارة بعضهم^(٤٢) من جعل مطلق الغرض الصحيح من مسوغات الغيبة، فلم أعرف له وجهاً))^(٤٣). ومن هنا ((يقدم أحد الدليلين على الآخر لأجل أقوائية الملاك))^(٤٤)، ومن الواضح هنا وجود قاعدة عامة وكلية وهي تقديم الأهم ملاكاً، ((وعلى هذا، فمورد الاستثناء لا تنحصر في عدد معين))^(٤٥).

هذه ضوابط ثلاثة لجواز الغيبة، إلا أن الضابطة الثانية والثالثة ليست عامة وكونه بحيث يستطيع كل إنسان أن يطبقها على الموارد التي تصادفه في الحياة الاجتماعية، وإنما ذكرها العلماء من أجل ((توجيه الموارد التي ورد النص فيها على جواز الغيبة أو نص العلماء على جوازها حتى لا يتوهم بأن الاستثناء اعتباطي بلا ملاك، وارتجالي بلا جهة، وليس^(٤٦) بصدد بيان أنه كل ما كان هناك غرض صحيح تجوز الغيبة))^(٤٧)، ((فالأولى صرف
١٠٨ رسالة القلم  العدد الثالث

الكلام إلى موارد الاستثناء وكذا موارد يقال أو يحتمل أن يقال بترجيح مقتضاها على مقتضى الغيبة بعد ما لم يكن في الباب ملاك كلي وضابط عام^(٤٨)، ((فإن الكلام هنا متمحض لبيان مستثنيات الغيبة بحسب التعبد بالأدلة الخاصة، فلا مساس بلحاظ المناط والعمل بطبق أقوى الملاكين))^(٤٩).

والخلاصة أن هناك موارد لجواز الغيبة وردت في الروايات الشريفة وجاءت على ألسنة بعض العلماء يمكن انتزاع ضوابط عامّة لها إلا أنه لا يمكن تطبيق تلك الضوابط العامّة المنتزعة على أيّ مثال أو مصداق نصادفه في الواقع الاجتماعي، والموارد التي ذكرت لاستثناء حرمة الغيبة وجوازها ما يلي:

المورد الأول: ((غيبة المتجاهر بالفسق كمن يشرب المسكر في الطرقات))^(٥٠)، حيث ((أن ذكر الفاسق المعلن خارج عن الغيبة موضوعاً لما عرفت من أن الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه))^(٥١)، ولكن ينبغي التنبيه على عدّة أمور:

((إن القدر المتيقن من جواز الغيبة في هذا المورد هو ذكره في خصوص ما يتجاهر به، أما جواز غيبته في العيوب والذنوب الأخرى المستورة فهو غير معلوم)).

((إن جواز غيبة المتجاهر بالفسق إنما هو في صورة ما لو كان المتجاهر يعترف بأن عمله ذنب، أما لو أظهر لعمله عذراً صحيحاً فإن غيبته غير جائزة، كما لو ادعى أنه يتناول الشراب للعلاج والدواء)).

حرمة ذلك المسلم أكبر من مفسدة نفس المنكر، فإن غيبته حينئذٍ غير جائزة وإن علم يقيناً أنه سوف يترك الذنب لو اغتابه)) (٥٧).

المورد الخامس: غيبة الضالين المضلين المبتدعين في دين الله (٥٨): وذلك بقصد فضحهم وكشفهم على حقيقتهم، لا لدواعٍ أخرى كالحقد أو التشفي.

المورد السادس: الجرح للشاهد والراوي (٥٩): وذلك فيما لو نقل الفاسق خبراً أو شهد شهادة فتجاوز غيبته بقصد أن يُعرف فسقه فلا يقبل قوله.

المورد السابع: ذكر العيب الواضح المشهور الذي به يعرف صاحبه (٦٠): مثل الأعمش والأحول والأعرج بشرط أن يكون قصده من ذكرهم التعريف بهم لا الانتقاص منهم.

المورد الثامن: رد مدّعي النسب زوراً وكذباً: حيث أنّ مصلحة حفظ الأنساب أهم من مفسدة هتك المدعي.

المورد التاسع: أن يقصد بغيبته دفع الضرر عن المغتاب: كقوله عليه السلام لعبد الله بن زرارة اقرأ على والدك مني السلام وقل إنما اغتبتك دفاعاً مني عنك (٦١).

المورد العاشر: تفضيل بعض العلماء على بعض من أجل معرفة الأعم أو الأكفأ: لا للانتقاص وكذلك تفضيل بعض الصنائع على بعض لمعرفة الصنعة الأكثر جودة.

المورد الحادي عشر: الشهادة على الناس: إذا اطلع الذين يثبت

العقد الثالث رسالة القلم ١١١

الإختصار فيه مع الإفادة المطلوبة قدر الإمكان، فمن أراد التوسع فعليه بمراجعة الكتب الفقهية^(٦٥)، والأخلاقية^(٦٦).

ثانياً: بعض هذه الموارد قد يكون فيها خلاف بين الفقهاء، كما أن بعضها يوجد فيه الكثير من التفصيلات التي قد يختلف فيها الفقهاء، فليرجع كل مكلف إلى رأي من يقلده.

ثالثاً: صحيح أن هناك موارد جائزة للغيبة، ولكن يجدر بالإنسان أن يترفع عنها قدر الإمكان، ومن المناسب هنا ذكر الموعظة العظمى للمربي الكبير سماحة الإمام الخميني العظيم إتماماً للفائدة في هذا الفصل حيث يقول **تَبَيَّنَ**:

((والذي يجب أن نذكره هنا هو أن على الإنسان أن لا يعيش حالة الاطمئنان أبداً من مكائد النفس، بل يجب أن يتحرك في منتهى الحذر والاحتياط، ولا يكون في صدد التبرير - لغيبته - بالأعذار بأن يقول أن هذا المورد هو من الموارد المستثناة فيسمح لنفسه بالبحث عن عيوب الناس وإشاعتها في المجتمع.

إنّ مكائد النفس بالغة الدقة، فيمكن أن تخدع الإنسان عن طريق الشرع، وترجّه في مهلكة. فمثلاً إن غيبة المتجاهر بالفسق جائزة، وإذا توقف رده بعض الأحيان على استغابته وجبت غيبته من باب النهي عن المنكر، ولكن يجب أن يتأمل الإنسان بأن الدافع النفسي لغيبته هو الداعي الشرعي الإلهي - النهي عن المنكر - أو أن الباعث أهواء شيطانية ورغبة نفسانية - العداوة والتشفي - فإن كان الهدف الداعي الإلهي - النهي عن

أقبح، إذ أنّ العلماء الحقيقيين يتسمون بالخشية التي تحجبهم عن الاقتحام في المهلكات، قال الإمام الصادق عليه السلام :

((الخشية ميراث العلم وميزانه، والعلم شعاع المعرفة وقلب الإيمان، ومن حرم الخشية لا يكون عالماً وإن شق الشعر بمشابهات العلم، قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

وأفة العلم ثمانية: الطمع والبخل، والرياء والعصبية، وحب المدح، والخوض فيما لم يصلوا على حقيقته، والتكلف في تزيين الكلام بزوائد الألفاظ: وقلة الحياء من الله، والافتخار، وترك العمل بما علموا.

قال عيسى عليه السلام: أشقى الناس من هو معروف بعلمه مجهول بعمله)) (٦٨).

رأيت من المناسب أن أطرح ذلك البحث المكتوب
من دون أي تغيير، لأنه يعكس الجهد العلمي
لتلك الحقبة الزمنية



- (١٧) منهاج الصالحين للسيد الخوئي ص ١١.
- (١٨) منهاج الصالحين للسيد الحكيم ص ١٣-١٤.
- (١٩) منهاج الصالحين للسيد السيستاني ص ١٧.
- (٢٠) راجع ((التعليقة على منهاج الصالحين)) للشيخ التبريزي ص ٦.
- (٢١) ((وهي حالة عدم حصول الفقيه على دليل يدل على الحكم الشرعي وبقاء الحكم مجهولاً لديه، فيتجه البحث في هذه الحالة إلى محاولة تحديد الموقف العملي تجاه ذلك الحكم المجهول بدلاً عن اكتشاف نفس الحكم، ومثال ذلك: حالة الفقيه تجاه التدخين. فإن التدخين نحتل حرمة شرعاً منذ البدء، ونتجه أولاً إلى محاولة الحصول على دليل يعين حكمه الشرعي، فحيث لا نجد نساءل ما هو الموقف العملي الذي يتحتم علينا أن نسلكه تجاه ذلك الحكم المجهول، وهل يتحتم علينا أن نحتاط أولاً؟ وهذا هو السؤال الأساسي الذي يعالجه الفقيه في هذه الحالة، ويجب عليه في ضوء الأصول العملية بوصفها عناصر مشتركة في عملية الإستنباط)) دروس في علم الاصول - الحلقة الاولى ص ١٦٩-١٧٠.
- (٢٢) راجع مصباح الفقاهة ج ٣ ص ٣٢٦.
- (٢٣) المكاسب المحرمة للشيخ الأراكي ص ١٩٩.
- (٢٤) الذنوب الكبيرة ج ٢ ص ٢٦٨-٢٦٩.
- (٢٥) راجع منهاج الصالحين للسيد الخوئي ص ١١، ومنهاج الصالحين للسيد السيستاني ص ١٧-١٨، كما أن الشيخ جواد التبريزي لم يعلق على هذه المسألة مما يعني أنه يرى ذلك فراجع ص ٦ من تعليقه على المنهاج.
- (٢٦) المسائل الشرعية للسيد الخوئي ج ٢ ص ١١.
- (٢٧) راجع مفتاح الكرامة ج ٤ ص ٦٥، وهناك تبين مناقشة السيد العاملي للمحقق الأردبيلي المائل إلى حرمة ذلك، كما ويراجع جواهر الكلام ج ٢٢ ص ٦٢.

- (٤٠) مصباح الفقاهة ج ١ ص ٣٣٦.
- (٤١) وهذا ما يستفاد من كلمات الشيخ الأنصاري فراجع المكاسب ص ٣٤٢-٣٤٣.
- (٤٢) وهما الشهيد الثاني والمحقق الكركي كما تقدم في الضابط الثاني.
- (٤٣) المكاسب المحرمة للشيخ الارابي ص ٢١٥.
- (٤٤) المواهب في تحرير أحكام المكاسب ص ٥١٦ كما يحسن الرجوع إليه لمعرفة الضوابط الثلاث المتقدمة جيداً.
- (٤٥) راجع المكاسب للشيخ الأنصاري ص ٣٤٣.
- (٤٦) المراد من ضمير التثنية هما الشهيد الثاني والمحقق الكركي حيث يستفاد من كلامهما وجود قاعدة عامة كلية لجواز الغيبة.
- (٤٧) راجع المواهب في تحرير أحكام المكاسب ص ٥١٥-٥١٦.
- (٤٨) المكاسب المحرمة للإمام الخميني ص ٢٧٥.
- (٤٩) مصباح الفقاهة ج ١ ص ٣٣٧.
- (٥٠) الذنوب الكبيرة ج ٢ ص ٢٧٢.
- (٥١) المواهب في تحرير أحكام المكاسب ص ٥١٧.
- (٥٢) هذه الأمور الثلاثة المذكورة تجدها في كتاب الذنوب الكبيرة ج ٢ ص ٢٧٢ مع تفصيل أكثر فراجع.
- (٥٣) مفتاح الكرامة ج ٤ ص ٦٦.
- (٥٤) الذنوب الكبيرة ج ٢ ص ٢٧٣-٢٧٤.
- (٥٥) الذنوب الكبيرة ج ٢، ص ٢٧٣-٢٧٤.
- (٥٦) الذنوب الكبيرة ج ٢، ص ٢٧٣-٢٧٤.
- (٥٧) المصدر السابق.

التوبة

محمود حسن غلوم

قال الله تبار وتعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَيَّ
اللَّهُ تَوْبَةً نَّصُوحًا))(١).

التوبة في اللغة:

كلمة عرّف الراغب الأصفهاني في كتابه (المفردات في غريب القرآن) التوبة بأنها: ترك الذنب على أجمل الوجوه. وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر: لم أفعل أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت، وأساءت، وقد أفلعت. لا رابع لذلك. وهذا الأخير هو التوبة.

والتوبة في الشرع :

ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة. فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شرائط التوبة إلى الله.

يقال لبذل التوبة، ولقابل التوبة بالتائب، فالعبد تائب إلى الله، والله تائب على عبده. والعبد الكثير التوبة يسمى بالتوّاب - وذلك بأن يترك في كل وقت بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركاً لجميعها. ويوصف

العقد الثالث * * * * * رسالة القلم ١٢١

حقوق الناس، فإن كان حقاً مالياً أعدناه لصاحبه إن كان حياً، وللورثة إن كان ميتاً، وإن كنا لا نعرف صاحبه، ففي هذه الحالة نرجع إلى الحاكم الشرعي، لأنها تعد من المظالم، وإن كان الحق عَرَضاً وجب عليه تحصيل رضا الطرف الآخر، وإن كان الحق قصاصاً سلّم نفسه، فأما أن يقتص منه أو تؤخذ الدية منه أو يعفو عنه صاحب الحق، وإن كان الحق حِداً كالقذف وجب عليه أن يسَلّم نفسه، ليقام عليه الحد أو يعفو عنه صاحب الحق، أما الذنوب التي فرضَ فيها الحدّ مثل الزنا، فإنه لا يجب عليه أن يقرّ على نفسه أمام الحاكم الشرعي ليجري عليه الحد، وإنما يكفي منه الندم على الذنب، والعزم على تركه في المستقبل، والاستغفار منه، حاله في ذلك حال الكبائر التي لم يثبت فيها حد شرعي كاستماع الغناء والموسيقى، وظاهر الآيات والروايات أنه يجب بعد الندم الاستغفار، وهو أن يطلب العفو والمغفرة من الله.

روي أن قائلاً عند أمير المؤمنين قال: استغفر الله .

فقال له عليه السلام : ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟

إن الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معان: أولها الندم على ما مضى، الثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً، الثالث: أن تؤدى إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله سبحانه أملس ليس عليك تبعه، الرابع: أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدى حقها، الخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد باللحم، وينشأ بينهما لحم جديد، السادس: أن تذيب الجسم ألم الطاعة كما

قال الشاب: فإنها أعظم من الجبال الرواسي.

فقال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق.

قال: فإنها أعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق.

فقال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسي.

قال: فإنها أعظم من ذلك.

قال: فنظر النبي ﷺ كهيئة الغضبان ثم قال: ويحك يا شاب، ذنوبك أعظم أم ربك؟ فخرّ الشاب لوجهه وهو يقول: سبحان الله ربّي، ماشئ أعظم من ربّي، ربي أعظم يا نبي الله من كل عظيم،

فقال النبي ﷺ: فهل يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم؟

قال الشاب: لا والله يا رسول الله، ثم سكت الشاب فقال النبي ﷺ: ويحك يا شاب ألا تخبرني بذنوبك واحد من ذنوبك؟

قال بلى أخبرك، أني كنت أنيش القبور سبع سنين أخرج الأموات وأنز الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار، فلما حملت إلى قبرها ودفنت وانصرف عنها أهلها وجنّ عليهم الليل أتيت قبرها فنبشته ثم استخرجتها ونزعت ما كان عليها من أكفانها، وتركتها متجردة على شفير قبرها ومضيت منصرفاً.

فأتاني الشيطان فأقبل يزنيها إليّ ويقول: أما ترى بطنها وبياضها؟ أما

فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله) (٧) يقول عز وجل: أتاك عبدي يا محمد تائباً فطردته فأين يذهب، وإلى من يقصد ومن يسأل أن يغفر له ذنباً غيري، ثم قال عز وجل (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعملون، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العالمين) (٨) فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ خرج وهو يتلوها ويتبسم فقال لأصحابه: من يدلني على ذلك الشاب التائب.

فقال معاذ: يا رسول الله بلغنا أنه في موضع كذا وكذا فمضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى انتهوا إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبون الشاب فإذا هم بالشاب قائم بين صخرتين مغلولة يداه إلى عنقه، وقد اسودَّ وجهه وتساقطت أشفار عينه من البكاء وهو يقول: سيدي قد أحسنت خلقي وأحسنت صورتني، فليت شعري ماذا تريد بي، أفي النار تحرقني أو في جوارك تسكنني، اللهم انك قد أكثرت الإحسان إلى وأنعمت عليّ، فليت شعري ماذا يكون آخر أمري إلى الجنة تزفني أم إلى النار تسوقني؟ اللهم إن خطيئتي أعظم من السماوات والأرض، ومن كرسيك الواسع وعرشك العظيم، فليت شعري تغفر خطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة؟

فلم يزل يقول نحو هذا وهو يبكي ويحثوا التراب على رأسه، وقد أحاطت به السباع، وصفت فوقه الطير وهم يبكون لبكائه، فدنا رسول الله ﷺ فأطلق يديه من عنقه ونفض التراب عن رأسه، وقال: يا بهلول أبشر

قضية فدك

محمد إبراهيم علي المبرشر

فدك هي إحدى القرى المثمرة تقع في أطراف المدينة المنورة (في الحجاز)، وتبعد عن المدينة المنورة يومين وقيل ثلاثة أيام وهي أرض يهودية لبني النضير.

كيف جعلت فدك لرسول الله ﷺ :

في السنة السابعة هجريا حصلت غزوة خيبر وبان نصر المسلمين على يد من يحبه الله ورسوله وهو علي بن أبي طالب عليه السلام.

كما قال النبي عليه وآله : لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار لا فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه.

فبات الناس يتفكرون حول الرجل المتصف بهذه الصفات، المقصود بكلام رسول الله عليه وآله وكان الإمام علي عليه السلام غائبا في تلك الغزوة بسبب مرض أصاب عينه (مرض الرمذ) بحيث منعه عن الإبصار.

أصبح الصباح وخرج رسول الله عليه وآله بالراية، وأقبل الناس إلى النبي ليعرفوا الرجل الذي يستحق أن يكون حاملا لراية الإسلام وفاتحا لحصون اليهود؟ فقال النبي عليه وآله : أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يشتكي عينه، فقال: أرسلوا إليه.

العقد الثالث رسالة القلم ١٢٩

القصة.

* لا يخفى عليك أن القرآن الكريم قد أعطانا قاعدة ترتبط بهذا المورد أي حكم الغنائم التي تكون ملكا خاصا للرسول الأكرم ﷺ وهي الآية الكريم ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ (٢).

سنعرض لكم معاني كلمات هذه الآية بحيث يتضح لنا المعنى المراد: (أفاء) : من مادة (فئ) على وزن شيء- وهي في الأصل بمعنى الرجوع.

(أوجفتهم) : من مادة (إيجاف) بمعنى السوق السريع الذي يحدث غالبا في الحروب.

(خيل) : بمعناه المتعارف عليه وهي اسم جنس وجمعها خيول .
(ركاب) : من مادة (ركوب) وتطلق في الغالب على ركوب الجمال .
يتضح لنا من مجموع الآية أن جميع الموارد التي لم تحدث فيها القتال وتوجد فيها الغنائم فإنها لا توزع بين المقاتلين بل توضع تحت يد القائد العام وهو رسول الله ﷺ كما أشارت الآية الكريمة .

إذن فذلك ملك رسول الله ﷺ وهي مما أفاء الله تعالى على رسوله ﷺ في السنة السابعة صلحا، لأنها لم يوجف عليها بخيل وركاب فصارت كلها ملكا خاصا.

أو الآية المباركة: ﴿قَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ (٥).
 والشاهد في الآيتين هو قوله: (وآت ذا القربى حقه)، فانشغل فكر
 رسول الله ﷺ، من هم؟ وما حقهم؟ فنزل جبرائيل ثانيا عليه ﷺ وقال: إن
 الله سبحانه يأمرك أن تعطي فدكا لفاطمة ؑ، فطلب النبي ﷺ ابنته
 فاطمة ؑ وقال: إن الله تعالى أمرني أن أدفع إليك فدكا، فمنحها وتصرفت
 هي فيها وأخذت حاصلها فكانت تنفقها على المساكين.

وهذا الكلام قد ورد في كتب التفسير لأهل السنة: كالثعلبي في تفسير
 كشف البيان، وجلال الدين السيوطي في الدر المنثور: ج ٤، رواه عن
 الحافظ ابن مردويه أحمد بن موسى المتوفى في عام ٣٥٢، وأبو القاسم
 الحاكم الحسكاني والمتقي الهندي في كنز العمال وابن كثير الدمشقي
 الفقيه الشافعي في تاريخه والشيخ سليمان الحنفي في ينابيع المودة (باب
 ٣٩) نقلا عن الثعلبي وعن جمع الفوائد وعيون الأخبار أنه لما نزلت: (وآت
 ذا القربى حقه) دعا النبي ﷺ فاطمة فأعطها فدك الكبير.

طريق إثبات حق السيدة الزهراء ؑ:

الطريق الأول الذي يثبت حق السيدة الزهراء ؑ هو طريق السنة
 الشريفة كما أسلفنا ذكره.

الطريق الثاني الذي يثبت حق السيدة الزهراء ؑ هو طريق التأريخ
 كما أشار القرآن الكريم بأهمية التأريخ.

وأما الطريق الثالث لإثبات فدك للسيدة الزهراء ؑ فهو عن طريق

وأخرجت وكيلى من فذك وقد جعلها لى رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى؟
لعل السيدة الزهراء ؑ ذكرت هذا لأنها رأت أبا بكر لم يعمل بقاعدة
اليد التي قد حصلت عبر طريق النحلة.
فقال: هاتي على ذلك بشهود، فجاءت أم أيمن فقالت: لا أشهد يا أبا
بكر حتى أحتج عليك بما قال رسول الله ﷺ، أنشدك بالله أأست تعلم أن
رسول الله قال: أم أيمن امرأة من أهل الجنة؟
فقال: بلى .

قالت: فاشهد أن الله (عز وجل) أوحى إلى رسول الله ﷺ: (آت ذا
القربى حقه) ، فجعل فذك لها طعمة بأمر الله تعالى.
فجاء علي ؑ فشهد بمثل ذلك، فكتب لها كتاباً ودفعه إليها، فدخل
عمر فقال: ما هذا الكتاب؟

فقال: إن فاطمة ادعت في فذك وشهدت لها أم أيمن وعلي، فكتبت
لها. فأخذ عمر الكتاب من فاطمة، فتفل فيه فمزقه، فخرجت فاطمة ؑ
تبكي . وفي سيرة الحلبي أن عمر أخذ الكتاب فشقّه (٦).

الرواية المذكورة تشير إلى نحلة الرسول الأكرم ﷺ للسيدة فاطمة
الزهراء ؑ .

وروي عن الإمام الصادق ؑ أن السيدة فاطمة ؑ جاءت إلى أبي
بكر بأمر من الإمام أمير المؤمنين ؑ وقالت له: ادعيت مجلس أبي وأنك
خليفته، وجلست مجلسه، ولو كانت فذك لك واستوهبتها منك لوجب
عليك ردها علي.

العقد الثالث رسالة القلم ١٣٧

فقال: صدقت.

ودعا بكتاب فكتب فيه بإرجاع فدك، فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذي معك؟

قالت: كتاب كتب لي أبو بكر برد فدك.

فقال: هلميه إلي.

فأبت أن تدفعه إليه، فرفسها برجله.. فلطمها، ثم أخذ الكتاب فخرقه (٧).

ويكفي ما ذكره ابن حجر في الصواعق المحرقة في الباب الثاني إن أبا بكر انتزع من فاطمة فدكا... إلى آخر كلام ابن حجر.

ومعنى هذا أن فدكا كانت في يد السيدة الزهراء (عليها السلام) من عهد أبيها الرسول الأكرم ﷺ فانتزعها أبو بكر منها.

ويلاحظ من مجمل الروايات ما يلي:

طلبه إقامة البينة من الزهراء وهي صاحبة اليد مخالف لضرورات الفقه الإسلامي.	١- طلب أبي بكر من بضعة رسول الله ﷺ إقامة البينة وهي صاحبة اليد مخالف لضرورات الفقه الإسلامي، بل تجب عليه هو إقامة البينة لأنه مدعي.
--	---

٢- يستلزم من كلام أبي بكر وفعل عمر أن النبي الأكرم ﷺ لم يعمل بالحكم الشرعي عندما أعطى فاطمة الزهراء (عليها السلام) فدكا.

٣- ذكر أبي بكر الحديث الذي يقول فيه أن الأنبياء لا يورثون
يصطدم مع آيات عدة في القرآن الكريم .
حصلت هذه الأمور لأسباب كثيرة يستطيع القارئ استنتاجها أو
استنتاج بعضها بعد الإطلاع .

احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على الأول:

جاء علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون و
الأنصار فقال: يا أبا بكر لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد
ملكته في حياة رسول الله؟

فقال أبو بكر: هذا في للمسلمين، فإن أقامت شهوداً أن رسول الله
جعلها لها، وإلا فلا حق لها فيه!

فقال علي عليه السلام: يا أبا بكر تحكم بيننا بخلاف حكم الله في المسلمين؟
قال: لا .

قال عليه السلام: فان كان في يد المسلمين شيء يملكونه فادعيت أنا فيه من
تسأل البينة؟
قال: إياك أسأل.

قال عليه السلام فما بال فاطمة سألتها البينة على ما في يديها، وقد ملكته في
حياة رسول الله وبعده، ولم تسأل المسلمين البينة على ما ادعوها شهوداً
كما سألتني على ما ادعيت عليهم؟؟

فسكت أبو بكر فقال: يا علي دعنا من كلامك، فإننا لا نقوى على
حجتك، فإن أتيت بشهود عدول، وإلا فهي في للمسلمين، لا حق لك ولا

على رسول الله ﷺ فأنجز أبو بكر لهما.

فجاءت فاطمة إلى أبي بكر تطالب بفدك والخمس والفيء فقال:
هااتي بينة يا بنت رسول الله. فاحتجت فاطمة ﷺ بالآيات وقالت: قد
صدقتم جابر بن عبد الله وجرير بن عبد الله البجلي ولم تسألوهما البينة، و
بيتتي في كتاب الله .

أت السيدة فاطمة الزهراء بالبينة وهم علي والحسن والحسين وأم
أيمن، ولكن لم يقبلوا الشهود كما مر سابقا ولهذا السبب التجأت لإثبات
حقها عن طريق الإرث، ولكن القوم واجهوها بحديث مبتدع وموضوع قد
اصطدم بآيات القرآن، ألا وهو حديث ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث
ذهبا ولا فضة، ولا دارا ولا عقارا وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم)).
وقد جاء هذا الحديث بعدة عبارات والشاهد فيه أن رسول الله لا يورث.
وفي ما يلي نذكر القصة بتفاصيلها..

نقل ابن أبي الحديد^(٨)، عن أبي بكر الجوهري بإسناده عن طرق
مختلفة تنتهي إلى زينب الكبرى بنت فاطمة الزهراء وإلى الحسين بن علي
بن أبي طالب عن أبيه ﷺ وإلى الإمام الباقر أبي جعفر محمد بن علي ﷺ
وإلى عبد الله بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط ﷺ قالوا جميعا:
لما بلغ فاطمة ﷺ إجماع أبي بكر على منعها فدكا، لاثت خمارها، وأقبلت
في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ في ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية
رسول الله ﷺ، حتى دخلت على أبي بكر وقد حشد الناس من
المهاجرين والأنصار، فضرب بينها وبينهم ربطة بيضاء، وقال بعضهم:

العقد الثالث رسالة القلم ١٤١

لماذا لم يحارب أمير المؤمنين عليه السلام لاسترداد الحق؟؟

لا يخفى على القارئ أن أمير المؤمنين عليه السلام واجه أبا بكر بأدلة قرآنية وإما بالنسبة للمقاومة العسكرية فلم يقدم عليها بسبب حرصه على الإسلام، وأيضا الوضع السياسي والاجتماعي لم يكونا يسمحان لذلك.

أولا : لم يوجد الناصر والمعين للمواجهة، فالتكليف كان عدم المقاومة معهم، هذا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله فقد صبر ١٣ عاما في مكة المكرمة، وفي المدينة المنورة عندما وجد الناصر والمعين قام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

ثانيا : لم تكن أرضية المدينة المنورة تتحمل الحرب لا من الداخل ولا من الخارج، فكان في الداخل المناقون ينتظرون أية فرصة لينقضوا على المسلمين وأما في الخارج فكان اليهود الموجودون في أطراف المدينة يتربصون للهجوم على المسلمين في أية لحظة للانتقام.

ثالثا : الإسلام كان جديد العهد فكانت الآثار السلبية هي الحاكمة على الوضع الاجتماعي، ولو اشتعلت الحرب لعادت عبادة الأصنام في مكة المكرمة، وأما بالنسبة لليمن كانت في بدأ اعتناقها للإسلام فلو كانت الحرب لانفصلت اليمن.

رابعا : كونوا على ثقة لو أن أهل البيت حملوا السلاح ضد الغاصبين لما بقي من أهل البيت أحد، فكان يوجد واجب آخر وهو الحفاظ عليهم. على كل حال سيأتي اليوم الذي ستعود فيه كل حقوق أهل البيت عليهم السلام وكذلك الأخذ بالثأر ممن ظلمهم.

العقد الثالث ❖ رسالة القلم ١٤٥

نسب الروح ونسب الدم

علي أحمد عبد الوهاب الجفيري

﴿أعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا
فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ (١).

كثيرة هي تلك العادات والتقاليد الجاهلية التي ألغاهها وأطاح بها الإسلام بنبوّة خاتم الرسل ﷺ وقوّض عروشها بمعاول الأحكام الإلهية التي تتناسب مع الفطرة الإنسانية، إنفاذاً لحكم الله الذي يؤهل الإنسان - بترقيّه على مدارج الكمال خطوة فخطوة - إلى أن يكون خليفة الله على أرضه محققاً بذلك هدف الخلقة، وملامح أفكار وثقافة عرب الجاهلية لا تخفى على المطّلع والمتصفّح لبطون كتب التاريخ من خلال قراءة السير والأشعار والخطب التي تنقل الإنسان لذلك الواقع المعاش في تلك الفترة، وتوقفه على أهمّ ملامح تلك المرحلة المخجلة للإنسانية، فتبيّن بعد ذلك للمطّلع عظمة الإسلام وإعجاز آياته التي نقلت أناساً كانوا يعيشون البهيمية والسبعية بأعلى مستوياتهما - حتى وصلوا إلى التدني عن مرتبة العجماءات والبهائم - إلى الإنسانية والتحضّر، نقلتهم من حالة الحيرة والضياع واللاهدية في العيش إلى حالة الإدراك والوعي ومعرفة هديّة الحياة، وأهلتهم لقيادة الأمم والشهادة عليها بجعلها أمة وسطاً، ووضعت تحت

واقعنا العمليّ من حيث نشعر أو لا نشعر - قد لاقت من قبل الإسلام مواجهة حادّة وتصادما عنيفا هدّ ركنها وأحلّ عُراها، ولكي نتعرّف على الثقافة البديلة التي جاءت بها أطروحة الإسلام، لا بد من التفريق بين قسيمي النسب والتعرّف على معالمهما وطبيعتيهما وكيفية تعامل الإسلام معهما.

❖ أقسام النسب :

ينقسم النسب بلحاظ انتسابه إلى الروح أو المادة إلى نسب روح ونسب مادة أو دم، وإلى كلّ قد أشارت الآيات الكريمة والروايات الشريفة، وقد أولى الإسلام عنايته الفائقة للإثنين من خلال وضع القوانين وبيان المعالم وتفصيل الدقائق وتوضيح الضوابط العامّة التي تحكم كلا النوعين.

وهذا الاهتمام البالغ قد أولاه الإسلام للإثنين، لما لهذين المفهومين من مدخلية عظيمة في حفظ وتأصيل الكثير من مفاهيم الإسلام التي تدخل كل واحدة منها في تركيبة البنية النهائية للمجتمع المسلم من عنصري أصول الاعتقاد وفروع العمل، أما عن الأول فتكمن أهميّة الالتفات إلى مضامينه وقوانينه في حفظ المجتمع في ما يرتبط بالجانب العقائديّ الخلقية له، ونظراته ورؤيته الكونية التي تتجسّد بعد ذلك في سلوك أفراده العمليّ وتعاطيهم التفاعليّ مع الآخر في مختلف المجالات، وأمّا الثاني فتتّضح أهميّة التعرّف عليه والالتزام بقوانينه في حفظ المجتمع في ما يرتبط بالجانب التشريعيّ الفقهيّة، وذلك يتّضح من خلال التعرّف على مقصودنا من كلا القسمين.

بالأضرار التي تتعهد بإفساد المجتمع وتضييع الأنساب واحتقار النفوس وتخبُّط مسيرة عجلة العلاقات الإجتماعية وانحلال وتفكك مركباتها وأواصرها، وقد بيّن ذلك العلماء الأجلاء في خطاباتهم وكتاباتهم ممّا يطرح حاجة التفصيل.

❖ ثانيا : نسب الروح :

و أعني به ذلك النسب الذي يرتبط بما وراء المادّة والدم، والذي أثبتته القرآن وأقرّته الروايات وأنت به أطروحة الإسلام كثقافة بديلة عن تلك التي كانت سائدة في أوساط العرب ومحيط الجاهليّة الجهلاء، وهذا النسب أوسع من سابقه وأرحب، وشجرة عائلته أكبر حجما وأعظم شأنًا، وموازن هذا النسب تختلف عن موازين النسب الآنف الذكر، وأحكامه أرقى مستوى وأسمى غاية وأنبّل هدفا من مستوى وغاية قسيمه - مع التأكيد على أهميّة الإثنين -، ولذلك لا بدّ من التعرّف على معالم هذا القسم الذي ألفتنا سابقا علاقته الوطيدة ببناء الجنبه العقائدية الروحية للإنسان ومدخلته في ترقية الوعي الديني والأخلاقي للمجتمع، وهذا ما نروم إليه من خلال الأسطر القادمة إن شاء الله تعالى.

❖ النسب الروحيّ في القرآن :

قال الله تعالى في كتابه المجيد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٤)، تلاحظ أنّ هذه

كَلِيَّةُ الأهلِ الرُّوحِيَّةِ، بل هي جزئيَّة من جزئيَّات كَلِيَّةِ الأهلِ الدِّمِّيَّةِ، فيتَّضح بذلك الفارق ويرتفع به الإشكال، ويتجلَّى سبب قوله تعالى ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ جواباً على الاستفهام المُستَبطنَ في إخبار نوح ﷺ اللهُ تعالى بِنوَّةِ كنعان وأنَّ النبوَّةَ مُصدِّق من مُصدِّقِ الأهلِ فيجري بذلك وعد الله سبحانه بالإنجاء على هذا المُصدِّقِ المنطوي تحت هذه الكَلِيَّةِ، لكنَّ الله تعالى بيَّن له اختلاف اللحاظ بقوله سبحانه ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، فيبين بذلك أنَّ هناك موازين فوق موازين هذه النشأة في انعقاد رابطة الأبوة والنبوَّة، فثبت بذلك وجود نسب وراء نسب الدم المتعارف بيننا، وهو أعلى رتبة وأسمى مقاما لتعلُّقه بالأنبياء والصالحين فقط كما سيبيِّن لك إن شاء الله تعالى، ولنصطلح عليه بنسب الروح كما أسلفنا.

❖ معيار وضابطة التأهل للدخول إلى نسب الروح :

يتَّضح من خلال قوله تعالى ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ معيار صلاحية الفرد وأهليَّته في انتسابه إلى شجرة النسب الروحي، فإنَّ الانتساب إلى هذه الشجرة المباركة لا يكون إلا عن طريق تحوُّل الإنسان إلى الطرف المقابل بأن يكون عملاً صالحاً، وواضحٌ لأهل الاطلاع أنَّ التعبير في وصف إنسان بأنَّه عمل غير صالح يفيد مبالغة شديدة في وصف هذا الإنسان بما يمتلكه من حالات وملكات تجعله المُصدِّق الأبرز لحالة الإنسان المنغمس في الشهوات والرذائل، وتُصوِّر حاله بأنَّه مندكٌّ في ما خالف الفطرة الصافية ممَّا جعله العمل غير الصالح بعينه، وأصبح وجوده مسانخاً لحقيقة العمل غير الصالح فلا اثنيَّة ولا تكثُر، وليس هناك وجودان أو ماهيَّتان تُضاف

الصامتة، كان لابد لإتمام البحث من الإشارة إلى وجود ذلك المعنى بين كلمات الآيات الشريفة الناطقة المتمثلة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام. فقول رسول الله صلى الله عليه وآله ((سلمان منا أهل البيت))^(٧)، يعطيك حالة مشابهة لسابقتها في سورة هود ولكنها أتت هنا بشكل معاكس، حيث أنّ الآية الشريفة أثبتت بنوّة الدم لكنعان بالنسبة للأنبيا ونفت بنوّة الروح له، وحدithنا الشريف هذا أثبت انتساب سلمان لأبوّة الأنبياء ونفى - ضمنا - انتساب الدم له، وبالنظر إلى الحالتين يتّضح جلياً الفرق وتتأتى لنا النتيجة واضحة بأقل تأمل وبلا عناء، بأنّ حقيقة ما أطلقنا عليه نسب الروح موجودة في المصدرين المعتمدين الشريفين، فقد أثبت التاريخ أنّ سلمان عليه السلام فارسيّ الأصل وُلد في بلاد فارس لأبوين مجوسيين لا يعرفان عن التوحيد شيئاً، فمن أين صار سلمان من أهل البيت عليهم السلام؟ مع الالتفات إلى أنّهم أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ومعدن الرحمة وخزان العلم ومنتهى الحلم^(٨)، وغيرها من أوصاف خطيرة جليلة لك أن تحصل عليها وعلى غيرها عند قراءة تلك الزيارة الجامعة الكبيرة لأئمة أهل البيت عليهم السلام وغيرها من زيارات، من أين حصل سلمان على هذا الشرف الذي ما بعده شرف؟

نستطيع أن نقول بأنّه ما حصل على ذلك إلا بصيرورته عين العمل الصالح ممّا أهله للانتساب إلى محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وذريّتهم من الأئمة المعصومين عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى السلام، هكذا صار سلمان من أهل البيت عليهم السلام - مع مراعاة مقام النبوة والإمامة

العقد الثالث  رسالة القلم ١٥٥

نسب الروح لمناسبة المعنى واستقامة الكلام به وموافقته للكتاب والسنة في ما ظهر لك من سابق الكلام.

❖ أفراد شجرتي نسب الدم والروح :

١- شجرة نسب الدم : إنّ الكلام الزائد في بيان أفراد شجرة الدم يُعتبر لغوا في الحديث أرفع نفسي المثقلة عنه، حيث أن مادّتنا الرهيبة جعلت مفاهيم المادّة أقرب إلى عقولنا وآنس إلى نفوسنا، وحيث أن بيان شجرة الدم يدخل تحت هذا العنوان، وبيان الواضح البديهيّ فضول في الكلام ومضيعة للوقت، أصرف الحديث إلى بيان أفراد شجرة نسب الروح فذلك زبدة الكلام وقمة المقام.

٢- شجرة نسب الروح : تتكون هذه الشجرة من أب وأمّ وأبناء لهما فقط، فتفترق بذلك عن شجرة نسب الدم في الجدّ والحفيد والعمّ والخال ومؤنّتهم، ويكمن الفارق الأهمّ في العلاقة التي تربط أفراد عائلة هذه الشجرة مع بعضهم البعض، وفي ثمرات هذه العلاقة وما يترشّح عنها من إيجابيات دنيويّة وأخرويّة، ولكي يتّضح ذلك أكثر، أدعوك للتعرفّ على أفراد هذه العائلة بشكل مفصّل بما هداني له فكري القاصر عسى أن يمنّ الله تعالى علينا بأن نكون خدمة لأفراد هذه العائلة الطاهرة المصطفاة لا أقلّ والله المستعان.

أ- أب شجرة نسب الروح : إن الحديث القائل ((أنا وعليّ أبوا هذه الأمة))^(١١)، لا يترك بوضوحه أدنى مجالاً للشكّ في أبوة رسول الله ﷺ وابن عمّه أمير المؤمنين عليه السلام لهذه الأمة، وهو من الصراحة

أبوّتهم ﷺ لشيعتهم، وكذلك الكثير من الروايات الصادرة عن أهل بيت العصمة ﷺ التي تزخر بهذه التعابير مؤكّدةً هذه الحقيقة (١٤).

ب- أمّ شجرة نسب الروح : بعدما انتهينا من توضيح وتشخيص مصداق الأب لهذه الشجرة المباركة - وهو عنوان النبيّ ونائبه الإمام - استفادة من الأحاديث الشريفة، ننتقل لتشخيص مصداق أمّ هذه الشجرة، فمن يا ترى هي هذه المرأة التي تقوم هذا المقام الخطير وتشغل هذا المنصب الإلهيّ العظيم ؟ من هي هذه الطاهرة التي تنعش النفوس وتحياها بعد موتها بمفاهيم الحبّ الإلهيّ ؟ ولعمري فإنّ هذا هو الإحياء الحقيقيّ لا إحياء موتى الأبدان، من هي هذه المصطفاة لإيصال الخلق إلى مقام التوحيد الخالص من شراكة أصنام الكثافة واللطافة ؟ قبل البدء بتعريف هذه الشخصيّة العظيمة لا بدّ من دفع توهم متوقع في إجابة هذا التساؤل، حيث قد يجيب البعض بأن هذه الأمّ هي من أشارت إليها الآية السادسة من سورة الأحزاب في قوله تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (١٥)، وممّا لا شكّ ولا ريب فيه أنّ هذه الأمومة المشار إليها في الآية الكريمة لا تدخل تحت عنوان أمومة الدم، والمتأمل للحظات في الآية يدرك سريعا هذا المعنى، لأنّه من الجليّ أنّ زوجات النبيّ ﷺ لسن أمّهات للمؤمنين بمعنى والدات لهم، ويدلّك عليه الوجدان والواقع، فأيّ أمومة هذه إذن التي تشير إليها الآية الشريفة ؟ هل هي أمومة نسب الروح التي أشرنا إليها سابقا ؟ في جواب ذلك نقول أنّ المنع ظاهر في ذلك،

في حبّها وتستنغرق في شخصيّتها وتتعرفّ على مقاماتها وتنهج نهجها وتطيع أمرها وتجتهد في تقدّيسها وتبجيلها واحترامها بكلّ ما أوتيت من قوة وجهد وطاقه، يا ترى من هي هذه التي تصلح أن تكون كفوا لأبوة محمّد وعليّ وأبنائهما عليها وعليهم جميعا أفضل الصلوات وأزكى التحيّات؟ نستشفّ من كنية قد أطلقها الأب الرّوحيّ الأعلى رسول الله ﷺ على ابنته الطاهرة الصّديقة فاطمة جوابا لهذا السّؤال الخظير، ورد في كتاب حياة الصّديقة فاطمة ﷺ للطبيسيّ أنّ من كنى فاطمة ﷺ ((أمّ أبيها)) (١٦)، وهذه الكنية كما لا يخفى قد أطلقها رسول الله ﷺ عليها، وبيان وجه الاستشفاف كما يلي: نستطيع أن نقول بكلّ بساطة أنّه لمّا كان رسول الله ﷺ هو أبونا الرّوحيّ كما تقدّم ثبوته، كانت بالضرورة أمّه أمنا، فإنّك تجد بديهيّا ثبوت أصالة أمومة أمّ الأب في عرف نسب الدم، فكذلك أمّ أبيك الرّوحيّ، فهي أمّك الأصيليّة من دون اعتبار ووضع واتّخاذ، وهذا ما يفسّر غرابة هذا الحديث ويحلّ إشكاله الكامن في التّساؤل عن كيفيّة أن تكون الزهراء بنتا للرّسول ﷺ في نفس الوقت الذي تكون فيه أمّ له، فجواب هذا التّساؤل يكون كالآتي: أنّنا قدّمنا أنّ موازين نسب الدم تختلف عن موازين نسب الروح، وهما عالمان مختلفان لا دخل لأحدهما بالآخر إلا في الرابطة الجامعة بين النظرة العقائديّة من جهة والسلوكيّة من جهة أخرى، فكلاهما مكملّ للآخر، وأحدهما في طول الآخر، ولا ضمير ولا استحالة بأن يكون الشخص ابنا دميّا لأب رّوحيّ في حال كونه ليس ابنا رّوحيّا له، أو أن يكون الشخص ابنا رّوحيّا لأب رّوحيّ في حال كونه

❖ الخلاصة :

تبينّت بعد ذلك أطروحة الإسلام البديلة، والعناية الفائقة التي أولاها لكلا النوعين من النسب، وكيف أنّ هذه العناية تكفل انسجام النفوس مع قوانين الاثنين لموافقتهما فطرة الله التي فطر الناس عليها، ولا بدّ من الإشارة في ختام البحث بأنّ مراعاة وإقامة قوانين وأحكام كلا النسبين واجب عينا على كلّ مسلم، حتّى تتحقّق بذلك الوجوب استقامة الفرد ومن بعده استقامة المجتمع، لأنّها قوانين الله التي أنزل على عباده نورها، ونشر عليهم بها رأفته ورحمته، وأراد بها إيصال عباده إلى الهدف المنشود من إقامة المجتمع الفاضل بقيادة خليفة الله على أرضه، وبدون تحقيق النظرة الصحيحة لهذين النسبين لا يمكن الانتهاء إلى مثل هذا المجتمع.

اللهم اجعلنا ممّن ناديته فأجابك، وأمرته فأطاعك، وأرشدته فاهتدى، ونهيته فانتهى، ورويته فارتوى، بحقّ آبائنا النجباء، وأمّنا فاطمة الزهراء، صلواتك يا ربّ عليهم أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.



الهوامش

(١) الفرقان : ٥٤.

(٢) وهي الخطبة الثانية والسادسة والعشرين والثالثة والثلاثين والتاسعة والثمانين والخامسة والتسعين والسادسة والتسعين والإحدى وخمسين بعد المائة والإحدى وتسعين بعد المائة والثامنة والتسعين بعد المائة والثالثة عشر بعد المائتين، ولك الرجوع إلى كتاب سيرة سيّد

- المرسلين للشيخ السبحاني ص ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١.
- (٣) بيت الأحران للشيخ عباس القمي رحمته الله ص ١٤٥.
- (٤) سورة هود: ٤٥-٤٦.
- (٥) سورة هود: ٤٢.
- (٦) أصول الكافي ج ١، باب البدع والرأي والمقاييس، الحديث الثاني والعشرون، ص ٥٩.
- (٧) سلسلة الأركان الأربعة (٢) سلمان الفارسي لمحمد جواد آل فقيه، ص ٨٣.
- (٨) لا يخفى عليك أن هذه محاولة إلى إلفات وتذكير القارئ الكريم إلى عظمة ومنزلة أهل بيت العصمة عليهم السلام الذين انتسب إليهم سلمان وغيره من الأولياء الكمل، وليست محاولة إلى إثبات هذه المقامات ونسبة هذه الأوصاف إلى سلمان عليه السلام، كيف وهم من هم بأبي هم وأمي، لا يدانيهم أحد في فضل ولا منقبة ولا مقام، بل لا يطمع ولا يفكر أحد في إدراك مقاماتهم عليهم السلام، وذلك ما أشارت إليه نفس الزيارة الجامعة في قول الهادي عليه السلام (حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع ..) إلى آخرهذه المعاني في الزيارة الشريفة.
- (٩) بحار الأنوار ج ٧، الباب الخامس (صفة المحشر)، ص ٩٤.
- (١٠) المؤمنون - الآية ١٠١.
- (١١) بحار الأنوار ج ١٦، الباب السادس (أسماءه عليه وآله وعللها)، ص ٩٥.
- (١٢) منية المرید ص ١١٤.
- (١٣) منية المرید ص ١١٥.
- (١٤) انظر منية المرید من ص ١١٤ إلى ص ١١٨.
- (١٥) سورة الأحزاب: ٦.
- (١٦) حياة الصديقة فاطمة عليها السلام للطبسي، ص ٢٨.

الرجل والمرأة

في كفتي العقل والعاطفة

علي أحمد الكر باباي

كش الشعارات الصاخبة التي تحاك ضد الإسلام تصك مسامع الخلق في هذه الكرة الأرضية، وما ينقش غبار هذه الفوضى إلا وتبرز مأس أبرزها تبكيها العيون، وآلمها تضحك الإنسان بعد أن تنخر الأسنان من الداخل، بدءاً بمصطلح الحرية، مروراً بالإرهاب وشعار تعدد القراءات، وانتهاءً بمحور بحثنا وهو المرأة.

في هذه المقالة نتطرق إلى محورين مهمين يتعلقان بالمرأة، وهما:

١- مم تتكون المرأة؟

٢- لماذا الرجل لا المرأة!؟

المحور الأول: مم تتكون المرأة؟

المتأمل في حقيقة المرأة وكيانها يرى بوضوح عنصرين بارزين في تكوينها، إذا اختل أحدهما حصل اختلال في حقيقة المرأة، وإذا فقد أحدهما جاز القول بأن هذا الكيان الموجود بين أيدينا هو مخلوق آخر لا يسمى بالمرأة، فما هما هذان العنصران؟

جَيُوبِهِنَّ ﴿٢﴾ ولذا ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: "ألا أخبركم بخير نسائكم؟ قالوا: بلى. قال: إن خير نسائكم الولود الودود الستيرة العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلمها، المتبرجة مع زوجها، الحصان عن غيره" (٣). وهنا لا بد أن يتضح لمن ينظر للدين الإسلامي بظلامية، وأنه دين الكبت والأسر بأن الدين يدعو للجمال، وللعاطفة، ولتلبية نداء الغريزة الجنسية، ولكن وفق حالة قدسية تشعر فيها المرأة بكرامتها وصونها وعدم افتضاحها، فتكون أوفق لميولها ورغباتها المودعة في داخلها حينما تشعر بالخصوصية والاحترام المتبادل، لا المنفعة والاستغلال والخيانة.

والأمر الآخر هو أن المرأة الملتزمة بتعاليم دينها لا بد وأن تكون حصانا على غير زوجها، ولفظ "حصن" يشير إلى البناء الذي يبنى حول القرية فهو يحفظها من هجمات الأعداء، والحصين هو المنيع، والمرأة المحصنة هي المتزوجة، والرجل المحصن هو المتزوج، ولعل ذلك إشارة إلى كون الزواج حافظا ومانعا لكل منهما عن الحرام. وحصنت المرأة أي عفت فهي حصان. وهذه التعبيرات فيها كثير من التشديد على حفظ المرأة لسترها، وعدم التساهل والتسامح في أن يظهر منها شيء هو أولى بالحجب والحفظ. وليس ذلك إلا لكرامة المرأة المؤمنة عند الله جل وعلا، وذلك كما يشير القرآن خوفا عليها من الأذى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَنَ﴾ (٤).

والقوة الثانية: هي الحياء والعفة، فالمرأة التي ترى لنفسها قيمة ولجسدها حرمة تأبى أن يهتك سترها، حتى ولو لم تكن مؤمنة متدينة،

الأُسرة على المحبة وقبول الآخر والإصغاء للآراء التي تبديها الزوجة، ولكنه في النتيجة لا يكون منقادا لها في كل شيء، أي لا يجب عليه أن يأخذ برأيها في كل شيء لأن ذلك يعني أن يكون هو التابع وهي المتبوع وهذا ما يتنافى ومؤهلات كل منهما، فلا بد في النتيجة أن يخالفها حينما لا يجد الصواب في رأيها، ولا بد أن يسير هو بنفسه أمور الإدارة الزوجية، وما هذا التعبير إلا ترسيخ للقيادة والانقياد، آخذا بعين الاعتبار حالات تفاوت الآراء، فهو تأكيد على كون القيادة بعهدة الرجل، وقوة هذا التأكيد نابعة من تصوير الحالة المحتملة وهي المخالفة للزوجة بالحالة الطبيعية، وذلك تفاديا لخروج القيادة من عهدة الرجل. ويمكن تشبيه هذه الصورة بين الزوجين بالشورى بين الرسول الأكرم ﷺ وأُمَّته، فهذا القرآن قد نزلت فيه سورة باسم "الشورى" وجاءت فيه آيات تدعو النبي ﷺ للشورى وهو المعصوم الأكمل الذي يصيب ولا يخطئ، سواء وجدت الشورى أم لم توجد:

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (١٢)، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١٣).

ومع أن الرسول الأكرم ﷺ كان يشاورها إلا أنها كانت ملزمة في نهاية المطاف بالرجوع له سواء أكان لديها رأي مخالف أم لا:

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٤).

ولو كان الرسول ﷺ يعتمد على الآراء التي يشار بها عليه ويعمل بها

- (٣) مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي، الطبعة السادسة، ١٩٧٢، ص
- (٤) سورة الأحزاب: ٥٩.
- (٥) لسان العرب، ابن منظور، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـق، ج ٩، ص ٢٢٥.
- (٦) نفس المصدر ج ١٢، ص ١٢٠.
- (٧) وفيات الأئمة، وفاة السيدة زينب الكبرى، الشيخ فرج آل عمران القطيفي، ص ٤٣٥-٤٣٦.
- (٨) عوالي اللآلي، الطبعة الأولى ١٩٨٣، مطبعة سيد الشهداء ج ١، ص ٢٨٩.
- (٩) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٢، ص ٧٠٩.
- (١٠) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية ١٩٨٣، ج ٧٢، ص ٣٥٨.
- (١١) نحو حياة دافئة، الشيخ إبراهيم الأميني، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ص ٢٤٠.
- (١٢) سورة النساء: ٨٠
- (١٣) سورة الحشر: ٧.
- (١٤) سورة آل عمران: ١٥٩.
- (١٥) سورة الحجرات: ٧.

من مهارة في البلاغة والسبك اللغوي قادر على الإقناع وتقديم الحجة
ببلاغة أكثر من موسى. من هذا المنطلق دعت الحاجة نبي الله موسى إلى
أن يطلب من الله جل وعلا إن يسنده بأخيه هارون حتى يتمكن من إلقاء
الحجة على فرعون بفصاحة وبلاغة. وهنا سنشير إلى بعض النقاط والآليات
المهمة في فن الإلقاء منها أهمية الخطاب في التبليغ، إذ لا بد أن يتبته
الإنسان وخصوصا طالب العلم إلى المادة التي يطرحها إذ يجب أن تكون
متينة وقوية حتى يقنع الطرف الآخر. كذلك يجب أن يكون هناك إخلاص
في النية فجميعنا نعرف أن ما يخرج من القلب يقع في القلب. بمعنى إذا
تكلم الإنسان من قلبه فالطرف الآخر يتقبل الكلام ويكون له بالغ الأثر في
نفسه. أما إذا لم يكن مقتنعا أساسا بالكلام الذي يخاطب به الأفراد فلن
يكون ذا أثر على المستمع فعلى سبيل المثال إذا كان هناك شخص يمتلك
آليات في فن الإلقاء وأراد إقناع الطرف الآخر بها لن تؤثر إذا كان هو
شخصيا لم يكن مقتنعا بها. وعلى هذا يجب على الإنسان أن يتمتع بأسلوب
قوي وجدير. هذا من جانب أما الجانب الآخر وهو إشغال الذهن بالهم
التبليغي. بمعنى أنه لو كان هناك خطيب ما يذهب إلى بلد للترزق من
الخطابة لا نقول أنه لا يؤثر بتاتا على المستمع. ولكن مستوى التأثير عندما
يكون الشخص يمتلك الهم يكون الموقع مختلف عند الطرف الآخر.
ودعني أنتقل بك الآن إلى معنى الإرساء قبل الدخول إلى النقطة الثانية.

الارساء في اللغة هو الرسوخ ومرسى السفينة أي مكان توقفها.
فالمعلومات هكذا تحط في الذهن. فالإنسان يرسى في ذهنه معلومات

من الجمهور عادة ما تكون هناك رهبة أو خوف من الإخفاق لديه. وللسيطرة على هذه المخاوف وضع علماء النفس آليات تمكنه من تلقين نفسه إيجابيا. فلا يقول لنفسه إنني لا أستطيع أو سأنسى كل ما في ذهني، أو سألتعلم وإنني غير قادر على مواجهة الجمهور. من أجل ذلك أعدت أسئلة من قبل هؤلاء كأساسيات يستطيع أن يوجهها الإنسان إلى نفسه ومن هذه الأسئلة:

● بمعية من ؟ إذا كان ممثلا مسرحيا وارتقى خشبة المسرح يلقن نفسه إيجابيا بأني آت من قبل مخرج محترم أو عالي المستوى. مثال آخر إذا كنت مبلغ وارتقيت المنبر مثلا وسألت نفسك هذا السؤال فيجب عليك أن تلقن نفسك بأنك موظف من موظفي مؤسسة الإمام الحجة المنتظر (عج) فهذا هو التلقين الإيجابي. شخص آخر يجب عن هذا السؤال بأنه لا يعلم بمعية من أتى. فهذا هو التلقين السلبي.

● سؤال آخر من أنا؟ ننظر إليها من المنظور النفسي وليس من المنظور الأخلاقي فنستطيع الإجابة بأنه جندي من جنود الحجة ويسعى لإيصال المعلومة من هذا الباب وهذا يعتبر تلقينا إيجابيا. أما إذا كانت إجابة سؤال من أنا بلا شيء فهذا هو التلقين السلبي. و بهذا لا يستطيع إيصال المعلومة إلى الآخرين لأنه في قرارة نفسه لا يمثل شيئا بالنسبة لهم.

● لماذا أفعل؟ إذا كانت الإجابة أطبق التكييف فهذا هو التلقين الإيجابي للنفس أما قول لا اعلم للإجابة على هذا السؤال فهو التلقين

أخبار المشاهدة

(القسم الثاني)

محمد علي العريبي

ثالثا: الإشكال في دلالة التوقيع المبارك وجوابه:

كلمة ومحل الإشكال في دلالتها، هو ما نصت عليه - أو كان ظاهرها - من إطلاق نفي المشاهدة، والحكم بكذب كل مدع لذلك، ولا أقل من إجمالها من هذه الجهة.

ونحن نستعرض في نقاط، مجموعة مما ذكره علماءنا إشكالا وجوابا على دلالة التوقيع الشريف، تسليما بصحة دلالاته أو ضرورة صرفه عن ظاهره:

الأول:

ما عن السيد عبد الله شبر رحمته الله في شرحه للزيارة الجامعة، بعد نقله لمقال الفاضل التقي المجلسي رحمته الله وتشرفه برؤية الإمام الحجة ابن الحسن رحمته الله عند مرقد سيد الوصيين علي عليه السلام، واستحسانه (سلام الله عليه) للزيارة الجامعة:

" لا يقال كيف يمكن ادعاء رؤيته عليه السلام في غير المنام وقد ورد عنهم في التوقيع لعلي بن محمد السمري على ما في الاحتجاج والإكمال

العقد الثالث رسالة القلم ١٨٥

الثاني:

وأما تفصيل الجواب فقد ذكره في السفر الجليل (مكيال المكارم) الميرزا محمد تقي الأصفهاني^(٣) بعد مناقشته السنية المتقدمة، فقال:

"المقام الثاني: في دلالة الحديث المذكور على المطلب المزبور وتقرير ذلك أن قوله ﷺ (فقد وقعت الغيبة الثانية)، تعليل لقوله: (ولا توص إلى أحد يقوم مقامك)^(٤). فيدل على أن الغيبة الكبرى هي التي انقطعت الوكالة والنيابة الخاصة فيها.

ثم أكد ذلك بقوله ﷺ (وسياتي من شيعتي من يدعي المشاهدة...)، ولا شبهة بقريئة صدر الكلام^(٥) في أن المراد بدعوى المشاهدة هي المشاهدة على نحو ما وقع للسفراء الأربعة، المحمودين المعروفين في زمان الغيبة الأولى.

وقد صرح بأن من ادعاها في الغيبة الكبرى (فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم).

والحاصل أن المراد بالمشاهدة هي المشاهدة المقيدة بكونها بعنوان البائية والنيابة الخاصة مثل ما كان للسفراء الأربعة، الموجودين في زمان الغيبة الصغرى، لا مطلق المشاهدة فهو من باب ذكر المطلق، وإرادة المقيد أو ذكر العام وإرادة الخاص. وهذا النحو من الاستعمال كثير شائع في العرف واللغة؛ كما تقول اشترت اللحم أو اشتر اللحم وتريد لحم الغنم بخصوصه لا مطلق اللحم والقريئة في الكلام موجودة كما ذكرنا^(٦).

ومن هذا القليل قوله عز وجل: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا

” .. من المقطوع حسبما تواتر نقله أن جمهرة كبيرة من خيار علماء الشيعة وصلحائهم، قد تشرّفوا برؤيته وملاقاته، وقد أول ذلك بتأويلات عديدة كان من أجودها: أن من يدعي مشاهدته ونيابته وسفارته عنه على غرار سفرائه في حال الغيبة الصغرى، فهو كاذب مفتر، وفيما أحسب أن هذا التوجيه حسن ”(١٠).

الثالث:

وممن أجاب عن الإشكال بعدة مؤيدات - بناء على وجوب صرف الخبر عن ظاهره، ولعل فيها ما وصفه الميرزا الاصفهاني بالبعد- العلامة المجلسي تدوّن في بحار الأنوار (ج ٥٣ ص ٣١٨)، فقال ضمن وجوه ما ملخصه:

” وهذا الخبر بظاهره ينافي الحكايات السابقة وغيرها مما هو مذكور في البحار والجواب عنه من وجوه:

” الأول: أنه خبر واحد مرسل، غير موجب علما، ضعيف لم يعمل به ناقله، وهو الشيخ في كتاب الغيبة كما يأتي كلامه، فكيف بغيره والعلماء الأعلام تلقوها بالقبول، وذكروها في زبرهم وتصانيفهم، معولين عليها معتنين بها .”

ولا يخفى أن مراده مرسله الشيخ تدوّن في كتاب الغيبة، فإنه لو كان عاملا به لذكره في طيات جوابه على المخالف حول علة غيبة الإمام الحجة عليه السلام عن أوليائه الداعي لسقوط التكليف عنهم، حيث قال تدوّن في كتابه (الغيبة):

العقد الثالث * رسالة القلم ١٨٩

وتقدم استحضانه من دون حاجة لصرفه عن ظاهره.

" الثالث: ما يظهر من قصة الجزيرة الخضراء، وفيها:

فقلت للسيد شمس الدين محمد وهو العقب السادس من أولاده عليه السلام
: يا سيدي قد روينا عن مشايخنا أحاديث رويت عن صاحب الأمر عليه السلام أنه
قال: لما أمر بالغيبة الكبرى: من رأني بعد غيبي فقد كذب، فكيف فيكم
من يراه؟

فقال: صدقت إنه عليه السلام إنما قال ذلك في ذلك الزمان لكثرة أعدائه من
أهل بيته، وغيرهم من فراعنة بني العباس، حتى أن الشيعة يمنع بعضها بعضا
عن التحدث بذكره، وفي هذا الزمان تطاولت المدة وأيس منه الأعداء،
وبلادنا نائية عنهم، وعن ظلمهم وعنائهم، الحكاية (١٢). وهذا الوجه كما
ترى يجري في كثير من بلاد أوليائه عليه السلام."

وقد صنفت في رؤيته عليه السلام رسائل كثيرة مستقلة، وأما قصة الجزيرة
فهي محل تشكيك من قبل جملة من العلماء، إلا أن الوقوف على الوارد
أسلم ورد العلم لأهله أوفق للصواب.

" الرابع: ما ذكره العلامة الطباطبائي في رجاله في ترجمة الشيخ المفيد
بعد ذكر التوقيعات (١٣) المشهورة الصادرة منه عليه السلام في حق الشيخ المفيد
عليه السلام من إمكان دفع إشكال صدورها عن الإمام عليه السلام زمن غيبته الكبرى
باحتمال حصول العلم بمقتضى القرائن، واشتمال التوقيع على الملاحم
والإخبار عن الغيب الذي لا يطلع عليه إلا الله وأوليائه بإظهاره لهم، وأن
المشاهدة المنفية أن يشاهد الإمام عليه السلام ويعلم أنه الحجة عليه السلام حال مشاهدته

وهؤلاء الثلاثون الذين يستأنس بهم الإمام عليه السلام في غيبته لا بد أن يتبادلوا في كل قرن إذ لم يقدر لهم من العمر ما قدر لسيدهم عليه السلام، ففي كل عصر يوجد ثلاثون مؤمنا ولما يتشرفون بلقائه.

"السادس: ما ذكره المحقق الكاظمي في أقسام الإجماع من مؤيدات ونقولات لتصحيح بعض الإجماعات وكونها عن طريق التشرف وأنه غير ممتنع:

منها ما سمعه منه علي بن طاووس في السرداب الشريف (١٥).
ومنها ما علم محمد بن علي العلوي الحسيني المصري في الحائر الحسيني وهو بين النوم واليقظة من الدعاء المعروف بالعلوي المصري وغير ذلك.

ومنها ما قاله السيد المرتضى في كتاب تنزيه الأنبياء في جواب من قال: "فإذا كان الإمام عليه السلام غائبا بحيث لا يصل إليه أحد من الخلق ولا ينتفع به، فما الفرق بين وجوده وعدمه... قلنا الجواب أول ما نقوله: إنا غير قاطعين على أن الإمام لا يصل إليه أحد، ولا يلقاه بشر، فهذا أمر غير معلوم، ولا سبيل إلى القطع عليه... (١٦)
وقال أيضا في جواب آخر: إنه غير ممتنع أن يكون الإمام يظهر لبعض أوليائه ممن لا يخشى من جهته شيئا من أسباب الخوف، وإن هذا مما لا يمكن القطع على ارتفاعه وامتناعه، وإنما يعلم كل واحد من شيعته حال نفسه، ولا سبيل له إلى العلم بحال غيره وله في كتاب المقنع في الغيبة كلام يقرب مما ذكره هناك.

في تلك القصص ما يدل على أن أحدا لقيه عليه السلام في مقر سلطنته ومحل إقامته. ثم لا يخفى على الجائس في خلال ديار الأخبار أنه عليه السلام ظهر في الغيبة الصغرى لغير خاصته ومواليه أيضا، فالذي انفرد به الخواص في الصغرى هو العلم بمستقره، وعرض حوائجهم عليه السلام فيه، فهو المنفي عنهم في الكبرى، فحالهم وحال غيرهم فيها كغير الخواص في الصغرى، والله العالم”

انتهى ما أردنا نقله،
نقلناه بتمامه لما فيه من
الشواهد القيمة والمغنية عن
الإطناب، ولا يخفى أن
المجلسي تدئ لو سلم بظهور
التوقيع الشريف وصحته، لما
احتاج لصرف الجهد في تتبع
الأقوال، مع كون أكثرها
شواهد ومؤيدات لا ترقى
للدليلة، إلا بضم بعضها
لبعض.

الرابع:

ما عن بعض الفضلاء المعاصرين، جمعاً بين امتناع مشاهدته عليه السلام لو فرضت وما تواتر عن التشرف بمحضره: أن غيبته عليه السلام غيبة هوية لا غيبة

العقد الثالث رسالة القلم ١٩٥

روى الكليني عن إسحاق بن
عمار قال أبو عبد الله عليه السلام :
للقائم غيبتان إحداهما
قصيرة، والأخرى طويلة:
الغيبة الأولى لا يعلم
بمكانه فيها إلا خاصة
شييعته، والأخرى لا يعلم
بمكانه فيها إلا خاصة
مواليه

شخصية، فمن الممكن أن يرى ويشاهد لكن لا عن تشخص (١٩).

والإشكال على هذا الوجه ظاهر؛ فإن مما تواتر نقله عن غير طريق صحيح مشاهدته ومعرفته بشخصه (٢٠) نعرض لها إن شاء الله، رغم أن المشهور بين عامة الناس عدم إمكان معرفته كما هو ظاهر بعض الأخبار مثل ما رواه الصدوق رضوان الله عليه في كتابه كمال الدين وتمام النعمة عن ابن أبي عمير رحمته الله (٢١)، فضلا عما تقدم من أن ظهور النص في نفي النيابة الخاصة عصر الغيبة الكبرى على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام، أقوى. إلا أن يدعى أن التشرف بمحضره في جميع ما ينقل ونقل، ليس بنحو الجزم بكون من شوهد هو شخص الإمام عليه السلام، إلا أنها دعوى خالية من البرهان والشواهد، ولعل القائل لا يريد نفي إمكان رؤيته ومعرفته، إلا أن المقام لم يصلح أولم يسمح له -حفظه الله- ببيان التفصيل. وأما احتمال أن " يكون المراد به رد من يدعي رؤية الإمام قائم آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف في أيام الغيبة بهدف تضليل الناس واستغلال طهارتهم، فأصدوا عليهم السلام هذا الباب الذي قد يحاول الطامحون أو المستغلون النفاذ منه إلى عقول الناس الأمر الذي تترتب عليه سلبات كثيرة وخطيرة فيما يرتبط بسلامة المسيرة الإيمانية" (٢٢) فإنه محتاج لدليل آخر غير ما تضمنه التوقيع، ولا يمكن حمل مضمونه على هذا التقريب، ولا طريق للجزم بهذا الاحتمال بعد تواتر الأخبار واليقين بتحقق اللقاء معه عليه السلام زمن الغيبة الكبرى، مع معرفته بشخصه أو مع عدمها.

نعم يأتي في محله التعرض لحل مشكلة كثرة مدعي السفارة عنه

الشيعة وكثرة مدعي المشاهدة، دون أن يلزم منها الإعراض عن مضمون الرواية على الوجه المختار من ظهورها في نفي دعوى السفارة على النحو الخاص منها، فانتظر.

هذا كله في الحديث الأول طريقا ودلالة اختصرنا مطالبه ليتناسب والمقام، وقد اتضح صحة سنده، وسلامة متنه ودلالته، والله العالم.



الهوامش

- (١) راجع بحار الأنوار ج ٥٣/ص ١٩٩، حيث ذكر ٥٣ قصة - منها المتواتر - تممها مؤلف كتاب (جنة المأوى) للعلامة الميرزا حسين النوري قده، بل لا يبعد القول بتواتر كثير من أخبار المشاهدة.
- (٢) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة: ص ٣٥ / مطبعة أمير / ط ١.
- (٣) جد آية الله السيد محمد علي الأبطحي قده.
- (٤) أي: لا توص إلى أحد يقوم مقامك فقد -لأنه- وقعت الغيبة الثانية الكبرى.
- (٥) وهو المانع من الإطلاق، بل نص في المراد.
- (٦) هذا المثال يصلح للخاص المراد من لفظ العام فقط .
- (٧) سورة البقرة - ١٣٦. فالسياق دال على أن الظهور - وحتى القدر المتيقن - فيها هو خصوص الأنبياء عليهم السلام.
- (٨) يأتي ذكر بعضها في ضمن كلام العلامة المجلسي قده.
- (٩) مكيال المكارم: ج ٢ - ٣٣٥.
- (١٠) حياة الإمام المهدي عليه السلام: ١٣٠.

مقدمات لعلم الفقه

حسن عبد الله أحمد القصاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْخَلْقِ
وَالْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ
أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ حَتَّى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ.

نشوء الحاجة إلى هذا المطلب:

إنَّ طالبَ العلمِ يبدأ دراسته لمادة الفقه، وقد تغيب عنه بعض المسائل
المتعلقة بالعلم نفسه، إما لعدم وجودها في الكتاب الذي يدرس منه، أو
لعدم التطرق إليها من قبل الأستاذ، وهي مسائلٌ يحتاج إلى فهمها الطالبُ
في بداية مرحلة دراسته الحوزوية. ومن هنا أحببت أن أجمع بعض النقاط
المهمة حول العلم من بعض الكتب الفقهية، وأقدمها بين يدي الطالب
سائلاً المولى عز وجل أن يتقبلها وأن ينتفع بها الطالبُ.

ما هو المقصود من الفقه ؟

يُعرَّفُ اللغويون الفقهَ بـ الفهم و الفطنة (١)، فتقولُ: فقه العلمُ أي فهمه .
وقد إستعملها القرآن الكريمُ فيهما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا
يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (٢).

ووردتُ في آيةٍ أخرى بمعنى التبصر بأمر الدين (وهي أعمُّ من
العلم بالأحكام الشرعية) في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ

العقد الثالث رسالة القلم ١٩٩

البالغ العاقل المقدر بالأحكام الشرعية^(٤).

ما هي شروطُ التكليفِ ؟

لدينا شروطٌ عامةٌ وهي : التي يلزمُ وجودُها في كلِّ إنسانٍ حتى يصح منه امتثال الحكم الشرعي الموجه إليه بالخطاب الشرعي، وهي تعم جميع الأحكام ولهذا سميت بالشروط العامة، وأما الشروط الخاصة فهي : التي تختص بتكليف معين مضافاً إلى الشروط العامة، ومثال ذلك : الاستطاعة في الحج، وبلوغ النصاب في الزكاة، وعدم السفر لوجوب الصوم ... وغيرها .

نبين الشروط العامة المهمة التي ورد ذكرها في التعريف وهي :
البلوغ، العقل، القدرة .

● البلوغ : الدخول في سن التكليف - أي انتهاء حد الصغر والوصول إلى بدء التكليف^(٥).

وتعرف عند الطرفين - الذكر والأنثى - بظهور أمارات تدل عليها وهي:

إنزال المنى عند الذكر، سواء كان الإنزال في يقظة أو منام
بجماع أو غيره.

ظهور الشعر الخشن على العانة (وهي من السرّة إلى العورة).
إكمال تسع سنين قمرية عند الفتاة و خمسة عشر سنة قمرية
عند الصبي.

● العقل : ويقصد به أن يكون لديه من الرشد ما يمكن أن يعي به

بفتح باب الاجتهاد، قال أحدهم : (إن القول بحرمة الاجتهاد وإقبال بابه جملة وتفصيلاً لا يتفق مع الشريعة نصاً وروحاً، وإنما المقولة الصحيحة هي إباحته، بل وجوبه على من توفرت فيه شروطه، لأن الأمة في حاجة إلى معرفة الأحكام الشرعية فيما جدّ من أحداث لم تقع في العصور القديمة)^(٨).

وهذا الكلام متين جداً وإن كان التعليل المذكور لا يمثل إلا جانباً واحداً من جوانب الحاجة إلى الاجتهاد، فإن الاجتهاد مبدأ مستمر باستمرار الشريعة وما دام هناك مكلف وتكليف في مختلف العصور والظروف، مضافاً إلى أن بقاء الشريعة وإحياء أمرها يتوقف على الاجتهاد، وإلا فسوف لا يبقى من الإسلام والفقهاء إلا الاسم وبعض الأحكام التي يتداولها العامة من دون دليل والتي تتحول بالتدريج إلى تقاليد اجتماعية موروثة لا روح فيها .

الطريق الثاني : الاحتياط

وهو أن يأتي المكلف بكل شيء يحتمل فيه الأمر بالوجوب ولا يتحمل تحريمه على الإطلاق، وأن يترك كل شيء يحتمل فيه النهي والتحريم ولا يحتمل فيه الوجوب بحال . ويشترط في العمل بالاحتياط العلم بموارده، وربما يتعذر في بعض الحالات، ولهذا فإن الاحتياط ليس ميسوراً لأغلب الناس .

الطريق الثالث : التقليد

إن التقليد هو الطريق المتيسر عادة لجلّ الناس، فقد اعتاد الناس في

المجتهد، كتشخيص أن الغناء هو الصوت اللهوي لا كل صوت اشتمل على ترجيع من غير لهو .

والموضوعات المستنبطة على نوعين، الأول : هو الثابت بحيث لا يتغير باختلاف الزمان والمكان، ومثاله الغناء، والثاني : هو المتغير بحيث يتأثر بالظروف المحيطة، وبما أن الأحكام تتغير بتغير المواضيع، وتدور مدارها فمن هنا كان تشخيص الموضوعات المستنبطة المتغيرة له دخل في الاجتهاد(٩).

هل يجوز التقليد في أصول الدين ؟

المقصود من أصول الدين هي المسائل الاعتقادية، مثل : الإيمان بالله ورسوله والأئمة من بعده والمعاد، هناك أيضا فروع الدين (وهي التي يجب التقليد فيها) وهي عشرة فروع :

- ١- الصلاة . ٢- الصوم . ٣- الزكاة . ٤- الخمس .
- ٥- الحج . ٦- الجهاد . ٧- الولاية . ٨- البراءة .
- ٩- الأمر بالمعروف . ١٠- النهي عن المنكر .

فلا بد لكل إنسان أن يبذل جهداً مباشراً في البحث عنها واكتشاف حقائقها(١٠)، والنصوص الشريفة نهت عن التقليد في العقائد، فقد عنف القرآن الكريم أولئك الذين يعتمدون في اعتقاداتهم على تقليد الآخرين تقليداً أعمى بدافع التعصب وبدافع الكسل عن البحث والهروب من تحمل المسؤولية، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْكَلُوا بِآبَائِهِمْ لَّا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا

من أن يكون كذلك، ولا بد له من أن يهتم بأمر دينه قبل أي شيء آخر .
ومن هذا المنطلق يلزم في المرجع أن يكون واجداً لمواصفات معينة حتى
يصح تقليده وأخذ الأحكام منه.

أصل مشروعية التقليد ليس أمراً يثبت
بالتقليد، فالواجب على كل مكلف لم يقدر
على الاجتهاد، أن يفتش عن فقيه يقطع بأن
قوله حجة بينه وبين الله.

ما هي شروط مرجع التقليد ؟

إن المرجعية في الفتوى مذهب إلهي مقدّس وخطير جداً، وهذا الأمر
واضح ومرتكز في أذهان المؤمنين و المتشرعة ومن هنا اعتبرت بعض
الشروط في من يُرجع إليه في الفتوى:

- ١- الاجتهاد .
- ٢- البلوغ .
- ٣- العقل .
- ٤- الذكورة .
- ٥- طيب الولادة .
- ٦- الإيمان بإمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام .
- ٧- العدالة .

والعلم ما يتيح له ذلك وإن لم يكن مجتهداً .

الثالث : كل سبب يؤدي إلى يقين المقلد وإيمانه بأن فلاناً أعلم، فإن ذلك يحتم عليه أن يقلده دون سواه، ومن ذلك الشيعاء بين أهل العلم والفضل، أو الشيعاء في صفوف الأمة إذا أدى إلى يقين المقلد بأن من شاع أنه أعلم هو الأعلم حقاً .

ويجب على المقلد الفحص والبحث عن الأعلم في كل مظنة وسبيل ممكن، وأيضاً يجب على المكلف أن يحتاط في أعماله مدة البحث والفحص .

ما هي طرق أخذ الفتوى ؟

يستطيع المقلد أن يتعرف على فتوى مقلده بإحدى الوسائل التالية :
أولاً : أن يسمع منه مباشرة .

ثانياً : أن ينقل الفتوى إليه شاهدان عادلان (المسمأة بالبيئة) .

ثالثاً : أن يخبره بها شخص واحد عادل أو ثقة يعرفه بصدق اللهجة والتحرّج عن الكذب حتى لو لم يكن عادلاً وملتزماً دينياً في كل سلوكه .

رابعاً : أن يجد الفتوى في كتاب ألفه المرجع أو أقره، كالرسالة العملية الصادرة منه^(١٤).

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين
محمد وعلى آله الغرّ الميامين وأصحابه المنتجبين .



فجاء رثاء شهيد المحراب

السيد محمد باقر الحكيم رحمته الله

علي عبد الحسين البني

لقد أصيب الإسلام بشكل عام والشيعنة بشكل خاص بفاجعة استشهاد آية الله السيد محمد باقر الحكيم الذي استهدف بعملية اغتيال أثناء خروجه من حرم أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام بعد صلاة الجمعة في الأول من رجب لعام ١٤٢٤هـ الموافق ٢٩/٨/٢٠٠٣م.

وها هي الذكرى الثانية لاستشهاد هذا السيد الجليل تطل علينا... ولما له من مكانة علمية وسياسية في الأوساط الشيعية فإني أحببت أن أخلد ذكرى هذا السيد بهذه القصيدة من باب «لا نستحي من إعطاء القليل فالحرمان أقل منه» لأن قلما مثل قلمي لا يمكن له أن يوفي حق إنسان مؤمن فضلاً عن عالم من علماء الطائفة... فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا...

كانت له بالحسين علقه كبرت
مجداً تَبَوَّءَ منها للعلا شرفا
وجسمه بجديث الأرض مختلطاً
مثل الحسين غدى الترب له سجعفا
وغادر اليوم من أرض العراق أبُ
كان الحنون وعنا اليوم قد خطفا
فهَمَّتْ الناس في تشيع جثته
والقلب ذاب ودمع العين قد ذرفا
فثلتها رتبة أكرم بها وكفى
وذاك فضل لما قدّمته سلفا

سلام عليه يوم ولد ويوم استشهد
ويوم يبعث حيا